٤٣١
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة

في هذه السنة فتح الملك مسعود بن محمود بن سُبُكتِكِين قلعة بخُراسان كانت بيد الغُزّ، وقتل فيها جماعة منهم، وكانت بينه وبينهم وقعات أجلت عن فراقهم خُراسان إلى البرّية، وقد ذكرناه سنة ثلاثين [وأربعمائة].

ذكر ملك الملك أبي كاليجار البصرة

في هذه السنة سيّر الملك أبو كاليجار عساكره مع العادل أبي منصور بن مافنّة إلى البصرة، فملكها في صفر، وكانت بيد الظهير أبي القاسم، وقد ذكرنا أنّه وليها بعد بختيار، وأنّه عصى على أبي كاليجار مرّة، وصار في طاعة جلال الدولة، ثم فارق طاعته وعاد إلى طاعة الملك أبي كاليجار، وكان يترك محاقتّه(١) ومعارضته فيما يفعله، ويضمن الظهير أن يحمل إلى أبي كاليجار كلّ سنة سبعين ألف دينار، وكثرت أمواله، و دامت أيّامه، وثبت قدمه، وطار اسمه.

واتّفق أنّه تعرّض إلى أملاك أبي الحسن(٢) بن أبي القاسم بن مُكرم، صاحب عُمان، وأمواله، وكاتب أبو الحسن الملكَ أبا كاليجار، وبذل له زيادة ثلاثين ألف دينار في ضمان البصرة كلّ سنة، وجرى الحديث في قصد البصرة، فصادف قلباً موغراً من الظهير، فحصلت الإجابة، وجهّز الملك العساكر مع العادل أبي منصور، فسار إليها وحصرها.

وسارت العساكر من عُمان أيضاً في البحر وحُصرت البصرة ومُلكت، وأُخذ الظهير وقُبض عليه، وأُخذ جميع ماله، وقُرّر عليه مائة ألف وعشرة آلاف دينار،

---

(١) في الأوربية: «محاققته».
(٢) في (أ): «الحسين».

يحملها في أحد عشر يوماً، بعد تسعين ألف دينار أُخذت منه قبلها، ووصل الملك أبو كاليجار إلى البصرة، فأقام بها، ثم عاد إلى الأهواز، وجعل ولده عزّ الملوك فيها، ومعه الوزير أبو الفَرَج بن فسانجس، ولمّا سار أبو كاليجار عن البصرة أخذ معه الظهير إلى الأهواز.

ذكر ما جرى بعُمان بعد موت أبي القاسم بن مُكرَم

لمّا تُوفّي أبو القاسم بن مُكرَم خلّف أربعة بنين: أبو الجيش، والمهذّب، وأبو محمّد، وآخر صغير، فوليَ بعده ابنه أبو الجيش، وأقرّ عليَّ بن هَطال المنوجانيَّ[1]، صاحب جيش أبيه، على قاعدته، وأكرمه، وبالغ في احترامه، فكان إذا جاء إليه قام له، فأنكر هذه الحال عليه أخوه المهذّب، فطعن على ابن هطال، وبلغه ذلك، فأضمر له سوءاً، واستأذن أبا الجيش في أن يحضر أخاه المهذّب لدعوة عملها له، فأذِن له في ذلك، فلمّا حضر المهذّب عنده خدمه، وبالغ في خدمته، فلمّا أكل وشرب وانتشى[2]، وعمل السُّكر فيه، قال لها ابن هطال: إنّ أخاك أبا الجيش فيه ضعف، وعجز عن الأمر، والرّأي أنّنا نقوم معك، وتصير أنت الأمير؛ وخدعه، فمال إلى هذا الحديث، فأخذ ابن هطال خطّه بما يفوّض إليه، وبما يعطيه من الأعمال[3] إذا عمل معه هذا الأمر. فلمّا كان الغد حضر ابن هطال عند أبي الجيش، وقال له: إنّ أخاك كان قد أفسد كثيراً من أصحابك عليك، وتحدّث معي، واستمالني فلم أوافقه، فلهذا كان يذمّني، ويقع فيّ، وهذا خطّه بما استقرّ هذه الليلة. فلمّا رأى خطّ أخيه أمره بالقبض عليه، ففعل ذلك واعتقله، ثم وضع عليه من خنقه وألقى جثّته إلى منخفض من الأرض، وأظهر أنّه سقط فمات.

ثم تُوفّي أبو الجيش بعد ذلك بيسير، وأراد ابن هطال أن يأخذ أخاه أبا محمّد فيوليّه عُمان ثم يقتله، فلم تخرجه إليه والدته، وقالت له: أنت تتولّى الأمور، وهذا صغير لا يصلح لها. ففعل ذلك، وأساء السيرة، وصادر التجار، وأخذ الأموال.

---

(١) في نسخة بودليان رقم (٦٦١) ورقة ٧٣: «المتوحاي»، وفي الباريسية: «المتوجاني»، والمثبت من (أ).

(٢) في الأوربية: «وانتشا».

(٣) في (أ): «الأقطاع».

وبلغ ما كان منه مع بني مُكرَم إلى الملك أبي كاليجار، والعادل أبي منصور بن مافنّة، فأعظما الأمر واستكبراه، وشدّ العادل في الأمر، وكاتب نائباً كان لأبي القاسم بن مُكرَم بجبال عُمان يقال له المرتضى، وأمره بقصد ابن هطال، وجهّز العساكر من البصرة لتسير إلى مساعدة المرتضى، فجمع المرتضى الخلق، وتسارعوا إليه، وخرجوا عن طاعة ابن هطال، وضعف أمره، واستولى المرتضى على أكثر البلاد، ثم وضعوا خادماً كان لابن مُكرَم، وقد التحق بابن هطال، على قتله، وساعده على ذلك فرّاش كان له، فلمّا سمع العادل بقتله سيّر إلى عُمان من أخرج أبا محمّد بن مُكرَم، ورتّبه في الإمارة، وكان قد استقرّ أن[1] الأمر لأبي محمّد في هذه السنة[2].

ذكر الحرب بين أبي الفتح ابن أبي الشوك وبين عمّه مهلهل

(في هذه السنة كان بين أبي الشوك وبين عمّه مُهَلهِل حرب شديدة)[3].

وكان سبب ذلك أنّ أبا الفتح كان نائباً عن والده في الدِّينَوَر، وقد عظم محلّه، وافتتح عدّة قلاع، وحمى[4] أعماله من الغُزّ، وقتل فيهم، فأُعجب بنفسه، وصار لا يقبل أمر والده.

فلمّا كان هذه السنة، في شعبان، سار إلى قلعة بُلوار[5] ليفتحها، وكان فيها زوجة صاحبها، وكان من الأكراد، فعلمت أنّها تعجز عن حفظها، فراسلت مُهَلهِل بن محمّد بن عنّاز، وهو بحلله في نواحي الصامغان، واستدعته لتسلّم إليه القلعة، فسأل الرسول عن أبي الفتح: هو هو بنفسه على القلعة أم عسكره؟ فأخبره أنّه عاد عنها وبقي عسكره، فسار مهلهِل إليها، فلمّا وصل رأى أبا الفتح قد عاد إلى القلعة، فقصد موضعاً يُوهِم أبا الفتح أنّه لم يرد هذه القلعة، ثم رجع عائداً، وتبعه أبو الفتح ولحقه وتراءت الفئتان، فعاد مهلهِل إليه، فاقتتلوا، فرأى أبو الفتح من أصحابه تغيّراً،

---

(١) من الباريسية.

(٢) المختصر في أخبار البشر ٢/١٦٢، ١٦٣.

(٣) ما بين القوسين من الباريسية.

(٤) في الأوربية «وحما».

(٥) في الباريسية: «بلوار».

فخافهم، فولّى منهزماً، وتبعه أصحابه في الهزيمة، وقتل عسكر مهلهِل من كان في عسكر أبي الفتح من الرَّجّالة، وساروا في أثر المنهزمين يقتلون ويأسرون، ووقف فرس أبي الفتح به فأُسر وأُحضر عند عمّه مهلهِل، فضربه عدّة مقارع، وقيّده، وحبسه عنده وعاد.

ثم إنّ أبا الشوك جمع عساكره وسار إلى شَهرزور وحصرها، وقصد بلاد أخيه ليخلِّص ابنه أبا الفتح، فطال الأمر ولم يخلص ابنه، وحمل مهلهِل اللجاج على أن استدعى علاء الدولة بن كاكوَيْه إلى بلد أبي الفتح، فدخل الدِّينَوَر وقَرمِيسِين، وأساء إلى أهلها وظلمهم وملكها، وكان ذلك سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة.

ذكر شغب الأتراك على جلال الدولة ببغداذ

في هذه السنة شغب الأتراك على الملك جلال الدولة ببغداذ، وأخرجوا خيامهم إلى ظاهر البلد، ثم أوقعوا[1] النهب في عدّة مواضع، فخافهم جلال الدولة، فعبّر خيامه إلى الجانب الغربيّ، وتردّدت الرسل بينهم في الصُّلح، وأراد الرحيل عن بغداذ، فمنعه أصحابه، فراسل دُبَيس بن مَزْيد، وقرواشاً، صاحب الموصل، وغيرهما، وجمع عنده العساكر، فاستقرّت القواعد بينهم، وعاد إلى داره، وطمع الأتراك، وآذوا الناس، ونهبوا وقتلوا، وفسدت الأمور بالكلّيّة (إلى حدٍّ لا يُرجَى صلاحه[2])[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في جمادى الآخرة، وُلد للخليفة القائم بأمر الله ولده أبو العبّاس، وهو ذخير الدين.

---

(١) في الأوربية: «واقعوا».

(٢) ما بين القوسين من (أ).

(٣) المنتظم ٨/ ١٠٤، ١٠٥ (١٥/ ٢٧٣، ٢٧٤)، تاريخ الإسلام (حوادث ٤٣١ هـ.) ص ٣١٩، البداية والنهاية ١٢/ ٤٧، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٥٠.

[الوَفَيَات]

وفيها تُوفّي شبيب بن وثّاب النُّميريُّ[١]، صاحب الرَّقّة وسَروج وحَرّان.

وفيها تُوفّي أبو نصر بن مُشكان[٢]، كاتب الإنشاء لمحمود بن سُبُكتِكين ولولده مسعود، وكان من الكتّاب المُفلِقين، (رأيتُ له كتابة في غاية الجودة)[٣].

---

(١) انظر عن (شبيب بن وثاب) في: الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/٤٦ و٧٦، والأعلام ٣/٢٢٩، ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزامباور ٢/٢٢٠.

(٢) في (أ) ونسخة بودليان رقم (٦٦١): «موسكان»، وفي ورقة ٧٣ «موشكان»، والمثبت يتفق مع: تاريخ البيهقي. انظر فهرس الأعلام ٧٨١.

(٣) من (أ).

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٣٢
ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

ذكر ابتداء الدولة السلجوقيّة وسياقة أخبارهم متتابعة

في هذه السنة اشتدّ ملك[١] السلطان طُغْرُلْبَك محمّد وأخيه جغْري بك داود ابنَيْ ميكائيل بن سلجوق بن تُقاق[٢]، فنذكر أوّلاً حال آبائه، ثم نذكر حاله كيف تنقّلت[٣] حتّى صار سلطاناً، على أنّني قد ذكرتُ أكثر أخبارهم متقدّمة على السنين، وإنّما أوردناها هاهنا مجموعةً لترِد سياقاً واحداً، فهي أحسن، فأقول:

فأمّا تُقاق[٤] فمعناه القوس الحديد[٥]، وكان شهماً، ذا رأي وتدبير، وكان مقدّم الأتراك الغُزّ، ومَرجعهم إليه، لا يخالفون له قولاً، ولا يتعدّون أمراً. فاتّفق يوماً من الأيّام أنّ ملك التُّرك الذي يقال له بَيْغُو جمع عساكره، وأراد المسير إلى بلاد الإسلام، فنهاه تُقاق عن ذلك، وطال الخطابُ بينهما فيه فأغلظ له ملك التُّرك الكلام، فلطمه تُقاق فشجّ رأسه، فأحاط به خَدَمُ ملك التُّرك، وأرادوا أخْذَه، فمانَعَهم وقاتَلَهم، واجتمع معه من أصحابه من منعه، فتفرّقوا عنه، ثم صلُح الأمر بينهما، وأقام تُقاق عنده، وولد له سلجوق.

وأمّا سلجوق فإنّه لمّا كبر ظهرت عليه أمارات النجابة، ومخايل التقدّم، فقرّبه

---

(١) في (أ): «أمر».
(٢) في (أ): «يقاق»، وفي الباريسية: «دقاق» وهو المشهور.
(٣) في الأوربية: «ينقّلت».
(٤) هكذا في الأصل. وانظر الحاشية رقم (٢).
(٥) في طبعة صادر ٩/ ٤٧٣ «الجديد» وهو تحريف، والتصحيح: من ابن العبري، وفيه لُقّب بتيمور ياليق أي السهم الحديدي. وانظر: زبدة التواريخ للحسيني ٢٣. وفيه: «يقاق».

ملك التُّرك وقدّمه، ولقّبه سُباشي، ومعناه قائد الجيش، وكانت امرأة الملك تخوّفه من سلجوق لما ترى من تقدّمه، وطاعة الناس له، والإنقياد إليه، وأغرتْه بقتله، وبالغت في ذلك[١].

وسمع سلجوق الخبر، فسار بجماعته كلّهم ومَن يطيعه من دار الحرب إلى ديار الإسلام، وسعد بالإيمان ومجاورة المسلمين، وازداد حاله عُلُوّاً، (وإمرة، وطاعة)[٢]، وأقام بنواحي جَنَد، وأدام غزوَ كُفّار التُّرك، وكان[٣] ملكهم يأخذ الخراج من المسلمين[٤] في تلك الديار، وطرد سلجوق عُمّاله منها وصفت للمسلمين.

ثم إنّ بعض ملوك السامانيّة كان هارون بن أيلك الخان قد استولى على بعض أطراف بلاده، فأرسل إلى سلجوق يستمدّه، فأمدّه بابنه أرسلان في جمْعٍ من أصحابه، فقوي بهم السامانيُّ على هارون، واستردّ ما أخذه منه، وعاد أرسلان إلى أبيه.

وكان لسلجوق من الأولاد: أرسلان[٥]، وميكائيل، وموسى[٦]، وتُوُفّي سلجوق بجَنَد، وكان عُمره مائة سنة وسبْع سِنين، ودُفن هناك، وبقي أولاده، فغزا ميكائيل بعض بلاد الكُفّار الأتراك، فقاتل، وباشر القتال بنفسه، فاستشهد في سبيل الله، وخلّف من الأولاد: بَيْغو[٧]، وطُغْرُلْبَك محمّداً[٨]، وجَغْري بك داود، فأطاعهم عشائرهم، ووقفوا عند أمرهم ونهيهم، ونزلوا بالقرب من بخارى على عشرين فرسخاً منها، فخافهم أمير بخارى فأساء جوارهم، وأراد إهلاكهم والإيقاع بهم، فالتجأوا إلى بُغراخان ملك تركستَان، وأقاموا في بلاده، واحتموا به وامتنعوا، واستقرّ الأمر بين

---

(١) زبدة التواريخ ص ٢٤.

(٢) إضافة من الباريسية.

(٣) من (أ).

(٤) من (أ).

(٥) وكان يُدعى: «إسرائيل». (زبدة التواريخ ٢٥).

(٦) في جامع التواريخ لرشيد الدين ٢/٥ كان لسلجوق خمسة أولاد: إسرائيل، ميكائيل، موسى، بيغو، يوسف ويونس. وفي تاريخ مختصر الدول لابن العبري ٢٩٣: ميكائيل، موسى، بيغو، أرسلان. وفي راحة الصدور للراوندي ١١٤٦ إسرائيل، ميكائيل، يونس وموسى، بيغو.

(٧) في زبدة التواريخ، وراحة الصدور: «بيغو».

(٨) في الأوربية: «محمد».

طُغْرُلْبَك وأخيه داود أنّهما لا يجتمعان عند بغراخان، إنّما يحضر عنده أحدهما، ويقيم الآخر في أهله خوفاً من مكرٍ يمكُرُه بهم، فبقوا كذلك.

ثم إنّ بغراخان اجتهد في اجتماعهما عنده، فلم يفعلا، فقبض على طُغْرُلْبَك وأسره، فثار[1] داود في عشائره ومن يتبعه، وقصد بغراخان ليخلّص أخاه، فأنفذ إليه بغراخان عسكراً، فاقتتلوا، فانهزم عسكر بغراخان وكثُر القتل فيهم، وخلّص أخاه من الأسر، وانصرفوا إلى جَنَد، وهي قريب بخارى، فأقاموا هناك.

فلمّا انقرضت دولة السامانيّة وملك أيلك الخان بخارى عظُم محلّ أرسلان بن سلجوق عمّ داود وطُغْرُلْبَك بما وراء النهر، وكان عليّ تكين في حبس أرسلان خان، فهرب، (وهو أخو أيلك الخان)[2]، ولحِق ببخارى واستولى عليها، واتّفق مع أرسلان بن سلجوق فامتنعا، واستفحل أمرهما، وقصدهما أيلك أخو أرسلان خان، وقاتلهما فهزماه وبقيا ببخارى.

وكان عليّ تكين يكثر معارضة يمين الدولة محمود بن سبكتِكِين فيما يجاوره في بلاده، ويقطع الطريق على رُسُله المتردّدين إلى ملوك الترك، فلمّا عبر محمود جَيحون، على ما ذكرناه، هرب علّي تكين من بخارى، وأمّا أرسلان بن سلجوق وجماعته فإنّهم دخلوا المفازة والرمل، فاحتموا من محمود، فرأى محمود قوّة السلجوقيّة، وما لهم من الشوكة وكثرة العدد، فكاتب أرسلانَ بن سلجوق واستماله ورغبّه، فورد إليه، فقبض يمين الدولة عليه في الحال، ولم يُمهله، وسجنه في قلعة، ونهب خركاهاته[3]، واستشار فيما يفعل بأهله وعشيرته، فأشار أرسلان الجاذب[4]، وهو من أكبر خواصّ محمود، بأن يقطع أباهمهم لئلا يرموا بالنُّشّاب، أو يُغَرَّقوا في جَيحون، فقال له: ما أنت إلاّ قاسي القلب[5]! ثم أمر بهم فعبروا نهر جَيحون، ففرّقهم في نواحي خُراسان، ووضع عليهم الخراج، فجار العُمّال عليهم، وامتدّت

---

(١) في (أ): «فسار».

(٢) من الباريسية.

(٣) الخركاهات: الخيام والسُرادقات.

(٤) في الباريسية: «الخازن»، وفي راحة الصدور للراوندي «جازب»، وأثبتها في زبدة التواريخ ٢٧ «الحاجب».

(٥) زبدة التواريخ ٢٧.

الأيدي إلى أموالهم وأولادهم، فانفصل منهم أكثر من ألفَيْ رجل، وساروا إلى كَرمان، ومنها إلى أصبهان، وجرى بينهم وبين صاحبها علاء الدولة بن كاكَوَيْه حرب قد ذكرناها، فساروا من أصبهان إلى أذربيجان؛ هؤلاء جماعة أرسلان.

فأمّا أولاد إخوته[1] فإنّ عليّ تكين صاحب بخارى أعمل الحِيَلِ في الظفَر بهم، فأرسل إلى يوسف بن موسى بن سلجوق، وهو ابن عمّ طُغْرُلْبَك محمّد وجغري بك داود، ووعده الإحسان، وبالغ في استمالته، وطلب منه الحضور عنده، ففعل، ففوّض إليه عليّ تكين التقدّم على جميع الأتراك الذين في ولايته، وأقطعه أقطاعاً كثيرة، ولُقّب بالأمير اينانج بَيْغو[2].

وكان الباعث له على ما فعله به أن يستعين به وبعشيرته وأصحابه على طُغْرُلْبك وداود ابنَيْ عمّه، ويفرّق كلمتهم، ويضرب بعضهم ببعض، فعلموا مراده، فلم يُطِعْه يوسف إلى شيء ممّا أراده منه، فلمّا رأى عليّ تكين أنّ مكره لم يعمل في يوسف، ولم يبلغ به غَرَضاً، أمر بقتله، فقُتل يوسف، تولّى قتله أمير من أمراء عليّ تكين اسمه ألب قُرا. فلمّا قُتل عظُم ذلك على طُغْرُلْبك وأخيه داود وجميع عشائرهما، ولبسوا ثياب الحِداد، وجمعا من الأتراك من قدرا[3] على جَمْعه للأخذ بثأره، وجمع عليّ تكين أيضا جيوشه، وسيّرها إليهم، فانهزم عسكر عليّ تكين، وكان قد وُلد السلطان ألب أرسلان بن داود أوّل محرّم سنة عشرين وأربعمائة قبل الحرب، فتبرّكوا به، وتيمّنوا بطلعته، وقيل في مولده غير ذلك.

فلمّا كان سنة إحدى وعشرين [وأربعمائة] قصد طُغْرُلْبك وداود ألبَ قُرا الذي قتل يوسفَ ابن عمّهما، فقتلاه، وأوقعا بطائفةٍ من عسكر عليّ تكين، فقتلا منها نحو ألف رجل، فجمع عليّ عسكره وقصدهم هو وأولاده ومَن حمل السلاح من أصحابه، وتبعهم من أهل البلاد خلق كثير، فقصدوهم من كلّ جانب، وأوقعوا بهم وقعة عظيمة قُتل [فيها] كثير من عساكر السلجوقيّة، وأُخذت أموالهم وأولادهم، وسبوا كثيراً من نسائهم وذراريهم، فألجأتهم الضرورة إلى العبور إلى خُراسان.

(١) في الباريسية: «أخيه».
(٢) من الباريسية.
(٣) في الأوربية: «قدروا».

فلمّا عبروا جَيحون كتب إليهم خُوارزمشاه هارون بن ألْتُونتاش يستدعيهم ليتّفقوا معه، وتكون أيديهم واحدة. فسار طُغْرُلْبك وأخواه داود وبَيْغو إليه، وخيّموا بظاهر خُوارزم سنة ستّ وعشرين [وأربعمائة] ووثقوا به واطمأنّوا إليه، فغدر بهم، فوضع عليهم الأمير شاهملك، فكبسهم، ومعه عسكر من هارون، فأكثر القتل فيهم والنهب والسبي، وارتكب من الغدر خطّة شنيعة، فساروا عن خُوارزم بجموعهم إلى مفازة نَسَا، وقصدوا مَرْو في هذه السنة أيضاً، ولم يتعرّضوا لأحدٍ بشرّ، وبقي أولادهم وذراريهم في الأسر.

وكان الملك مسعود بن محمود بن سبكتِكِين هذه السنة بطبرستان قد ملكها، كما ذكرناه، فراسلوه وطلبوا منه الأمان، وضمنوا أنّهم يقصدون الطائفة التي تفسد في بلاده، ويدفعونهم عنها، ويقاتلونهم، ويكونون من أعظم أعوانه عليهم وعلى غيرهم. فقبض على الرسل وجهّز عسكراً جرّاراً إليهم مع ايلتُغْدي[1] حاجبه، وغيرهم من الأمراء الأكابر، فساروا إليهم، والتقوا عند نَسَا في شعبان من السنة، واقتتلوا، وعظُم الأمر، وانهزم السلجوقيّة، وغُنمت أموالهم، فجرى بين عسكر مسعود منازعة في الغنيمة أدّت إلى القتال.

واتّفق في تلك الحال أنّ السلجوقيّة لمّا انهزموا قال لهم داود: إنّ العسكر الآن قد نزلوا، واطمأنّوا، وأمِنوا الطلب، والرأي أن نقصدهم لعلّنا نبلغ منهم غرضاً. فعادوا فوصلوا إليهم وهم على تلك الحال من الاختلاف، وقتال بعضهم بعضاً، فأوقعوا بهم، وقتلوا منهم وأسروا، واستردّوا ما أخذوا من أموالهم ورجالهم، وعاد المنهزمون من العسكر إلى الملك مسعود، وهو بنَيسابور، فندم على ردّه طاعتهم، وعلم أنّ هيبتهم قد تمكّنت من قلوب عساكره، وأنّهم قد طمعوا بهذه الهزيمة، وتجرّأوا على قتال العساكر السُلطانيّة بعد الخوف الشديد، وخاف من أخوات هذه الحادثة، فأرسل إليهم يتهدّدهم ويتوعّدهم، فقال طُغرلبك لإمام صلاته: اكتب إلى السلطان ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الخَيْرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]؛ ولا تزِدْ على هذا[3].

---

(1) في (أ): «بكتغدي»، ومثلها في: تاريخ البيهقي ٥١٩، وفي زبدة التواريخ ٣٢ «بكطغدي».

(2) سورة آل عمران، الآية ٢٦.

(3) زبدة التواريخ ٣٢، ٣٣، وانظر: تاريخ البيهقي ٥١٧ ـ ٥٢٤.

فكتب ما قال، فلمّا ورد الكتاب على مسعود أمر فكُتب إليهم كتاب مملوء من المواعيد الجميلة، وسيّر معه الخِلَع النفيسة، وأمرهم بالرحيل إلى آمُل الشطّ، وهي مدين على جَيحون، ونهاهم عن الشرّ والفساد، وأقطع دِهِستان لداود، ونَسَا لُطغْرُلْبك، وفراوة لبَيْغو، ولقّب كلّ واحد منهم بالدِّهقان[1]. فاستخفّوا بالرسول والخلَع، وقالوا للرسول: لو علِمنا أنّ السلطان يُبقي علينا، إذا قدِر، لأطعناه، ولكنّا نعلم أنّه متى ظفر بنا أهْلَكَنَا لِما عملناه وأسلفناه، فنحن لا نطيعه، ولا نثق به. وأفسدوا، ثم كفّوا، وتركوا ذلك، فقالوا: إن كان لنا قدرة على الانتصاف من السلطان، وإلاّ فلا حاجة بنا إلى إهلاك العالم، ونهب أموالهم؛ وأرسلوا إلى مسعود يخادعونه بإظهار الطاعة له، والكفّ عن الشرّ، ويسألونه أن يطلق عمّهم أرسلان بن سلجوق من الحبس، فأجابهم إلى ذلك، فأحضره عنده ببلْخ، وأمره بمراسلة بني أخيه بَيْغو، وطُغْرُلْبَك، وداود يأمرهم بالاستقامة، والكفّ عن الشرّ، فأرسل إليهم رسولاً يأمرهم بذلك، وأرسل معه إشفى، وأمره بتسليمه إليهم، فلمّا وصل الرسول وأدّى الرسالة وسلّم إليهم الإشفى نفروا واستوحشوا، وعادوا إلى أمرهم الأوّل في الغارة والشرّ، فأعاده مسعود إلى محبسه، وسار إلى غَزْنة، فقصد السلجوقيّةُ بلْخ ونَيسابور وطُوس وجُوزَجان، (على ما ذكرناه)[2].

وأقام داود بمدينة مرو، وانهزمت عساكر السلطان مسعود منهم مرّة بعد مرّة، واستولى الرعب على أصحابه، لا سيّما مع بُعده إلى غزنة، فتوالت كتب نوّابه وعمّاله إليه يستغيثون به، ويشكون إليه، ويذكرون ما يفعل السلجوقيّة في البلاد، وهو لا يجيبهم، ولا يتوجّه إليهم، وأعرض عن خُراسان والسلجوقيّة، واشتغل بأمور بلاد الهند.

فلمّا اشتد أمرهم بخُراسان وعظُمت حالهم اجتمع وزراء مسعود وأرباب الرأي في دولته، وقالوا له: إنّ قلّة المبالاة بخُراسان من أعظم سعادة السلجوقيّة، وبها يملكون البلاد، ويستقيم لهم الملك، ونحن نعلم، وكلّ عاقل، أنّهم إذا تُركوا على هذه الحال استولوا على خُراسان سريعاً، ثم ساروا منها إلى غزنة، وحينئذٍ لا ينفعنا[3]

---

(١) تاريخ البيهقي ٥٢٨.

(٢) من الباريسية.

(٣) في الباريسية: «يسعنا».

حركاتنا، ولا نتمكّن من البطالة والاشتغال باللعب واللهو والطَّرَب. فاستيقظ من رقْدته، وأبصر رُشْدَه بعد غفلته، وجهزِ العساكر الكثيرة مع أكبر أمير عنده يُعرف بسُباشي، وكان حاجبه، وقد سيّره قبلُ إلى الغُزّ العراقيّة، وقد تقدّم ذكر ذلك، وسيّر معه أميراً كبيراً اسمع مرداويج بن بشو[١].

وكان سُباشي جباناً، فأقام بهراة ونَيسابور، ثم أغار بغتةً على مرو، وبها داود، فسار مُجِدّاً، فوصل إليها في ثلاثة أيّام، فأصاب جيوشه ودوابّه التعب والكلال، فانهزم داود بين يديه، ولحِقه العسكر، فحمل عليه صاحب جُوزَجان، فقاتله داود، فقُتل صاحب جُوزجان وانهزمت عساكره، فعظُم قتله على سباشي وكلّ مَن معه، ووقعت عليهم الذلّة، وقويت نفوس السلجوقيّة، وزاد طمعهم[٢].

وعاد داود إلى مَرْو، فأحسن السيرة في أهلها، وخُطب له فيها أوّل جُمعة في رجب سنة ثمانٍ وعشرين وأربعمائة، ولُقّب في الخطبة بملك الملوك، وسُباشي يُمادي الأيّام، ويرحل من منزلٍ إلى منزل، والسلجوقيّة يراوغونه مراوغة الثعلب، فقيل إنّه كان يفعل ذلك جُبْناً وخَوراً، وقيل بل راسله السلجوقيّة واستمالوه ورغّبوه، فنفّس عنهم، وتراخى في تتبّعهم، والله أعلم.

ولمّا طال مُقام سُباشي وعساكره والسلجوقيّة بخُراسان، والبلاد منهوبة، والدماء مسفوكة، قلّت الميرة والأقوات على العساكر خاصّة. فأمّا السلجوقيّة فلا يبالون بذلك لأنهم يقنعون بالقليل، فاضطرّ سُباشي إلى مباشرة الحرب وترْك المحاجزة، فسار إلى داود، وتقدّم داود إليه، فالتقوا في شعبان سنة ثمانٍ وعشرين [وأربعمائة] على باب سَرْخَس. ولداود منجّم يقال له الصَّوْمعيُّ، فأشار على داود بالقتال، وضمن له الظَّفَر، وأشهد على نفسه أنّه إن أخطأ فدمُه مُباح له، فاقتتل[٣] العسكران، فلم يثبت عسكر سُباشي، وانهزموا أقبح هزيمة، وساروا أخزَى مسير إلى هَراة، فتبعهم داود وعسكره إلى طوس يأخذونهم باليد، وكفّوا عن القتل، وغنموا أموالهم، فكانت هذه الوقعة هي التي ملك السلجوقيّة بعدها خُراسان، ودخلوا قصبات البلاد، فدخل طُغْرُلْبك نَيسابور،

---

(١) في الباريسية: «سو».
(٢) زبدة التواريخ ٣٧، ٣٨.
(٣) في الأوربية: «فاقتتلا».

وسكن الشاذياخ، وخُطب له فيها في شعبان بالسلطان المعظَّم، وفرّقوا النوّاب في النواحي.

وسار داود إلى هَراة، ففارقها سُباشي ومضى إلى غَزْنة، فعاتبه مسعود وحَجَبَه، وقال له: ضَيّعْتَ العساكر، وطاولتَ الأيّام، حتّى قوي أمر العدوّ وصفا لهم مشربهم، وتمكّنوا من البلاد ما أرادوا. فاعتذر بأنّ القوم تفرّقوا ثلاث فِرَق كلّما تبِعت فرقة سارت بين يديّ، وخلفي الفريقان[1] في البلاد يفعلون ما أرادوا، فاضطرّ مسعود إلى المسير إلى خُراسان، فجمع العساكر وفرّق فيهم الأموال العظيمة، وسار عن غزنة في جيوشٍ يضيق بها الفضاء، ومعه من الفِيَلة عدد كثير، فوصل إلى بلْخ، وقصده داود إليها أيضاً، ونزل قريباً منها، فدخلها[2] يوماً جريدة (في طائفة يسيرة)[3] على حين غفلة من العساكر، فأخذ الفيل الكبير الذي على باب دار الملك مسعود، وأخذ معه عدّة جنائب، فعظُم قدْره في النفوس، وازداد العسكر هيبةً له[4].

ثم سار مسعود من بلْخ أوّل شهر رمضان سنة تسعٍ وعشرين وأربعمائة، ومعه مائة ألف فارس سوى الأتباع، وسار إلى جُوزَجان، فأخذ واليها الذي كان بها للسلجوقيّة، فصلبه، وسار منها فوصل إلى مَرْو الشاهجان، وسار داود إلى سَرَخَس، واجتمع هو وأخواه طغرلبك وبَيْغُو، فأرسل مسعود إليهم رُسُلاً في الصُّلح، فسار في الجواب بَيْغو، فأكرمه مسعود وخلع عليه، وكان مضمون رسالته: إنّا لا نثق بمصالحتك، بعد ما فعلنا هذه الأفعال التي سخطتَها كلّ فعل منها مُوبق[5] مُهلك؛ وآيسوه من الصلح. فسار مسعود من مَرْو إلى هَراة، وقصد داود مَرْو، فامتنع أهلها عليه، فحصرها سبعة أشهر، وضيّق عليهم، وألحّ في قتالهم فملكها[6].

فلمّا سمع مسعود هذا الخبر سقط في يده، وسار من هَراة إلى نَيسابور، ثم منها

---

(١) في (أ): «الفرقتان».

(٢) في الباريسية: «فدخل».

(٣) من (أ).

(٤) زبدة التواريخ ٤١، ٤٢.

(٥) في (أ): «موثق».

(٦) زبدة التواريخ ٤٣.

إلى سَرَخْس، وكلّما تبع السلجوقيّة إلى[1] مكان ساروا منه إلى غيره، ولم يزل كذلك، فأدركهم الشتاء، فأقاموا بنَيسابور[2] ينتظرون الربيع، فلمّا جاء الربيع كان الملك مسعود مشغولاً بلهوه وشربه، فتقضّى الربيع والأمر كذلك، فلمّا جاء الصيف عاتبه وزراؤه وخواصّه على إهماله أمر عدوّه، فسار من نَيسابور إلى مَرْو يطلب السلجوقيّة، فدخلوا البرّية، فدخلها وراءهم مرحلتَيْن والعسكر الذي له قد ضجروا من طول سفرهم وبيكارهم، وسئموا الشدّ والترحُّل، فإنّهم كان لهم في السفر نحو ثلاث سنين، بعضها مع سُباشي، وبعضها مع الملك مسعود، فلمّا دخل البرّية نزل منزلاً قليل الماء، والحرّ شديد، فلم يكفِ الماء للسلطان وحواشيه.

وكان داود في مُعظم السلجوقيّة بإزائه، وغيره من عشيرته مقابل ساقة عساكره[3]، يتخطّفون مَن تخلّف منهم، فاتّفق لِما يريده الله تعالى أنّ حواشي مسعود اختصموا هم وجمْعٌ من العسكر على الماء وازدحموا، وجرى بينهم فتنة، حتّى صار بعضهم يقاتل بعضاً، (وبعضهم نهب بعضاً)[4]، فاستوحش لذلك أمر العسكر، ومشى بعضهم إلى بعض في التخلّي عن مسعود، فعلم داود ما هم فيه من الاختلاف، فتقدّم إليهم وحمل عليهم، وهم في ذلك التنازع، والقتال، والنهب، فولّوا منهزمين لا يلوي أوّلٌ على آخر، وكثُر القتل فيهم، والسلطان مسعود ووزيره يناديانهم، ويأمرانهم بالعَود، فلا يرجعون، وتمّت الهزيمة على العسكر، وثبت مسعود، فقيل له: ما تنتظر؟ قد فارقك أصحابك، وأنت في برّيّة مُهلكة، وبين يديك عدوّ، وخلفك عدوّ، ولا وجه للمُقام. فمضى منهزماً ومعه نحو مائة فارس، فتبِعه فارس من السلجوقيّة، فعطف عليه مسعود فقتله، وصار لا يقف على شيء، حتّى أتى غَرْشِسْتانَ.

وأمّا السلجوقيّة فإنّهم غنموا من العسكر المسعوديّ ما لا يدخل تحت الإحصاء، وقسّمه داود على أصحابه، وآثَرهم على نفسه، ونزل في سُرادق مسعود، وقعد على كُرْسيّه، ولم ينزل عسكره ثلاثة أيّام عن ظهور دوابّهم[5] لا يفارقونها إلاّ لِما لا بُدّ لهم

(١) في الباريسية: «من».
(٢) من (أ).
(٣) في (أ): «العساكر».
(٤) من (أ).
(٥) في (أ): «خيولهم».

منه من مأكول ومشروب وغير ذلك، خوفاً من عَوْد العسكر، وأطلق الأسرى، وأطلق[1] خراج سنة كاملة[2].

وسار طُغْرُلْبك إلى نَيسابور، فملكها ودخل إليها آخر سنة إحدى وثلاثين [وأربعمائة] (وأوّل سنة اثنتين وثلاثين)[3]، ونهب أصحابه الناس، فقيل عنه إنّه رأى لَوْزينجاً فأكله وقال: هذا قطماج[4] طيّب، إلاّ أنّه لا ثوم فيه؛ ورأى الغُزُّ الكافور (فظنّوه ملحاً)[5]، وقالوا: هذا ملح مُرّ؛ ونُقل عنهم أشياء من هذا كثير.

وكان العيّارون قد عظُم ضررهم، واشتدّ أمرهم، وزادت البليّة بهم على أهل نَيسابور، فهم ينهبون الأموال، ويقتلون النفوس، ويرتكبون الفروج الحرام، ويفعلون كلّ ما[6] يريدونه لا يردعهم عن ذلك رادع، ولا يزجرهم زاجر، فلمّا دخل طُغْرُلْبَك البلدَ خافه العيّارون، وكفّوا عمّا كانوا يفعلون، وسكن الناس واطمأنّوا.

واستولى السلجوقيّة حينئذٍ على جميع البلاد، فسار بَيْغو إلى هَراة فدخلها، وسار داود إلى بلْخ، وبها ألُتونتاق الحاجب والياً عليها لمسعود، فأرسل إليه داود يطلب منه تسليم البلد إليه، ويعرّفه عجز صاحبه عن نُصرته، فسجن ألْتُونتاق[7] الرُسل، فنازله داود، وحصر المدينة، فأرسل ألْتُونتاق إلى مسعود، وهو بغَزْنة، يعرّفه الحال وما هو فيه من ضِيق الحصار، فجهّز مسعود العساكر الكثيرة وسيّرها، فجاءت طائفة منهم إلى الرُّخَّج، وبها جمْعٌ من السلجوقيّة، فقاتلوهم، فانهزم السلجوقيّة وقُتل منهم ثمانمائة رجل، وأُسر كثير، وخلا ذلك الصّقْع منهم.

وسار طائفة منهم إلى هَراة، وبها بيْغو، فقاتلوه ودفعوه عنها، ثم إنّ مسعوداً سيَّر ولدَه مودوداً[8] في عسكر كثير مدداً لهذه العساكر، فقُتل مسعود، وهو بخُراسان،

---

(١) في الباريسية: «ووضع».

(٢) زبدة التواريخ ٤٤، ٤٥، وانظر تاريخ البيهقي ٦٢٦ وما بعدها، حتى ٧٠١.

(٣) من (أ).

(٤) في نسخة بودليان «تطماح»، وفي الحاشية «تطماج».

(٥) في (أ): «ورأى الغُزّ الكافور فأكلوه».

(٦) في الأوربية: «كلما».

(٧) في (أ): «التونتاش»، وفي نسخة بودليان: «التوتياق» و«التونتاق». والمثبت يتفق مع زبدة التواريخ ٤٧.

(٨) في الأوربية: «مودود».

على ما نذكره إن شاء الله تعالى، فساروا عن غَزْنة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، فلمّا قاربوا بلْخ سيّر داود طائفة من عسكره، فأوقعوا بطلائع مودود، فانهزمت الطلائع، وتبِعهم عسكر داود، فلمّا أحسّ بهم عسكر مودود رجعوا إلى ورائهم، وأقاموا، فلمّا سمع أَلْتُونتاق صاحب بلْخ الخبر أطاع داود، وسلّم إليه البلد، ووطىء بساطه[1].

ذكر قبض السلطان مسعود وقتله ومُلك أخيه محمّد

قد ذكرنا عَود مسعود بن محمود بن سبكتِكِين إلى غَزْنة من خُراسان، فوصلها في شوّال سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وقبض على سُباشي وغيره من الأمراء، كما ذكرناه، (وأثبت غيرهم)[2]، وسيّر ولدَهُ مودوداً[3] إلى خُراسان في جيش كثيف ليمنع السلجوقيّة عنها، فسار مودود إلى بلْخ ليردّ عنها داود أخا طُغْرُلْبك، وجعل أبوه مسعود معه وزيرَه أبا نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد يدبّر الأمور، وكان مسيرهم (من غزنة)[4] في ربيع الأوّل سنة اثنتين وثلاثين.

وسار مسعود بعدهم بسبعة أيّام يريد بلاد الهند ليشتو بها، على عادة والده، فلمّا سار أخذ معه أخاه محمداً مسمولاً، واستصحب الخزائن، وكان عازماً[5] على الاستنجاد بالهند على قتال السلجوقيّة ثقةً بعهودهم. فلمّا عبر سَيحون، وهو نهر كبير، نحو دجلة، وعبّر بعض الخزائن اجتمع أنوشتِكين البلْخيّ وجمْعٌ من الغلمان الداريّة، ونهبوا ما تخلّف من الخزانة، وأقاموا أخاه محمّداً ثالث عشر ربيع الآخر، وسلّموا عليه بالإمارة[6]، فامتنع من قبول ذلك، فتهدّدوه وأكرهوه، فأجاب وبقي مسعود فيمن معه من العسكر وحفظ نفسه، فالتقى الجمعان منتصف ربيع الآخر، فاقتتلوا، وعظُم الخطْب على الطائفتَيْن، ثم انهزم عسكر مسعود، وتحصّن هو في رباط[7] ماريكلة[8]،

---

(١) زبدة التواريخ ٤٧.

(٢) من الباريسية.

(٣) في الأوربية «مودود».

(٤) من الباريسية.

(٥) في الأوربية: «عازم».

(٦) نهاية الأرب ٢٦/٧٢، زبدة التواريخ ٥٠.

(٧) في الباريسية: «قلعة».

(٨) في (أ) وفي نسخة بودليان، والباريسية: «مارنكله»

فحصره أخوه، فامتنع عليه، فقالت له أمّه: إنّ مكانك لا يعصمك، ولأن تخرج إليهم بعهدٍ خير من أن يأخذوك قهراً. فخرج إليهم[(١)]، فقبضوا عليه، فقال له أخوه محمّد: والله لا قابلتُك على فِعلك بي، ولا عاملتك إلاّ بالجميل، فانظر أين تريد أن تقيم حتّى أحملك إليه ومعك أولادك وحُرَمك. فاختار قلعة كيكي[(٢)]، فأنفذه إليها محفوظاً، وأمر بإكرامه وصيانته.

وأرسل مسعود إلى أخيه محمّد يطلب منه مالاً ينفقه، فأنفذ له خمسمائة درهم، فبكى مسعود وقال: كان بالأمس حكمي على ثلاثة آلاف حمل من الخزائن، واليوم لا أملك الدرهم الفَرْد. فأعطاه الرسول من ماله ألف دينار فقبِلها[(٣)]، وكانت سبب سعادة الرسول، لأنّه لمّا ملك مودود بن مسعود بالغ في الإحسان إليه.

ثم إنّ محمداً فوّض أمر دولته إلى ولده أحمد، وكان فيه خَبْط وهَوج، فاتّفق هو وابن عمّه يوسف بن سبكتِكِين وابن عليّ خويشاوند[(٤)] على قتل مسعود ليصفو المُلْك له ولوالده، فدخل إلى أبيه، فطلب خاتمة ليختم به بعض الخزائن، فأعطاه، فسار به[(٥)] إلى القلعة، وأعطوا الخاتم لمستحفظها، وقالوا: معنا رسالة إلى مسعود؛ فأدخلهم إليه فقتلوه، فلمّا علم محمّد بذلك ساءه، وشقّ عليه، وأنكره.

وقيل إنّ مسعوداً لمّا حُبس دخل عليه ولد أخيه محمّد، واسم أحدهما عبد الرحمن، والآخر عبد الرحيم، فمدّ عبد الرحمن يده فأخذ القَلَنْسُوَة من رأس عمّه مسعود، فمدّ عبد الرحيم يده وأخذ القَلَنْسُوَة من أخيه، وأنكر عليه ذلك، وسبّه، وقبّلها، وتركها على رأس عمّه، فنجا بذلك عبد الرحيم من القتل والأسر لمّا ملك مودود بن مسعود[(٦)]، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ثم إنّ محمّداً أغراه ولده أحمد بقتل عمّه مسعود، فأمر بذلك، وأرسل إليه مَن

---

(١) زاد في (أ): «منتصف ربيع الآخر».

(٢) في الباريسية: «كبرى»، وفي نسخة بودليان «كبرى».

(٣) نهاية الأرب ٢٦/ ٧٢، ٧٣.

(٤) في (أ) ونهاية الأرب ٢٦/ ٧٣ «خشاوند».

(٥) في الأوربية: «بها».

(٦) زبدة التواريخ ٥٠.

قتله وألقاه في بئرٍ وسدّ رأسها، وقيل بلى أُلقي في بئر حيّاً وسُدّ رأسها فمات[١]، والله أعلم.

فلمّا مات كتب محمّد إلى ابن أخيه مودود، وهو بخُراسان، يقول: إنّ والدك قُتل قصاصاً، قتله أولاد أحمد ينالتكين بلا رضاً منّي. فأجاب مودود يقول: أطال الله بقاء الأمير العمّ[٢]، ورزق ولدَه المعتوه أحمد عقلاً يعيش به، فقد ركب أمراً عظيماً، وأقدم على إراقة دم ملك مثل والدي الذي لقبّه أمير المؤمنين سيّد الملوك والسلاطين، وستعلمون في أيّ حتف تورّطتم، وأيّ شرّ تأبّطتم ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[٣].

نُفَلِّقُ هاماً مِن رِجالٍ أعِزَّةٍ عليْنا، وهُم كانوا أعقَّ وأظلَما[٤]

وطمع جُند محمّد فيه، وزالت عنهم هيبته، فمدّوا أيديهم إلى أموال الرعايا فنهبوها، فخُرّبت البلاد، وجلا أهلها، لا سيّما برشاوور فإنّها هَلك أهلها، ونُهبت أموالهم، وكان المملوك بها يُباع بدينار، وتُباع الخمر كلّ مَنَا بدينار، ثم رحل محمّد عنها لليلتَيْن بقيتا من رجب، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى[٥].

وكان السلطان مسعود شجاعاً كريماً، ذا فضائل كثيرة، محبّاً للعلماء، كثير الإحسان إليهم، والتقرّب لهم، صنّفوا له التصانيف الكثيرة في فنون العلوم، وكان كثير الصَّدَقة والإحسان إلى أهل الحاجة، تصدّق مرّة في شهر رمضان بألف ألف درهم، وأكثر الإدرارات والصِّلات، وعمر كثيراً من المساجد في ممالكه، وكانت صنائعه ظاهرة مشهورة، تسير بها الركبان مع عفّةٍ عن أموال رعاياه[٦]، وأجاز الشعراء بجوائز عظيمة، أعطى شاعراً على قصيدة ألف دينار، وأعطى آخر بكلّ بيت ألف

---

(١) زبدة التواريخ ٥١.

(٢) في الأوربية: «القسم».

(٣) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

(٤) في (أ): «وأعظما». والمثبت يتفق مع: المفضّليات، ونهاية الأرب ٢٦/ ٧٤ والبيت من شعر «الحصين بن الحمام المرّي».

(٥) انظر: تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٨٤، ونهاية الأرب ٢٦/ ٧٣، ٧٤، وتاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢٠، والعبر ٣/ ١٧٦، ومرآة الجنان ٣/ ٥٤، ومآثر الإنافة ١/ ٣٤٨.

(٦) في الأوربية: «رعياه».

درهم، وكان يكتب خطاً حسناً، وكان ملكه عظيماً، فسيحاً، ملك أصبهان، والرَّيّ، وهمذان، وما يليها من البلاد، وملك طَبَرِستان، وجُرجان، وخُراسان، وخُوارزم، وبلاد الراون، وكرْمان، وسِجِستان، والسِّند، والرُّخّج، وغَزْنة، وبلاد الغَور، والهند، وملك كثيراً منها، وأطاعه أهل البرّ والبحر، ومناقبه كثيرة، وقد صُنّفت فيها التصانيف المشهورة، فلا حاجة إلى الإطالة بذكرها[1].

ذكر ملك مودود بن مسعود وقتله عمّه محمّداً

لمّا قُتل الملك مسعود وصل الخبر إلى ابنه مودود، وهو بخُراسان، فعاد مُجِدّاً في عساكره إلى غَزْنة، فتصافَّ هو وعمّه محمّد في ثالث شعبان، فانهزم محمّد وعسكره وقبض عليه وعلى ولده أحمد، وأنوشتكين الخصِيّ البلْخيّ، وابن عليّ خويشاوند[2]، فقتلهم، وقتل أولاد عمّه جميعهم، إلاّ عبد الرحيم لإنكاره على أخيه عبد الرحمن ما فعله بعمّه مسعود، وبنى[3] موضعَ الوقعة قرية ورباطاً، وسمّاها فتح آباذ[4]، وقتل كلّ من له في القبض على والده صُنْع، وعاد إلى غَزْنة فدخلها في ثالثٍ وعشرين شعبان سنة اثنتين وثلاثين [وأربعمائة]، واستوزر أبا نصر وزير أبيه، وأظهر العدل وحُسن السيرة، وسلك سيرة جدّه محمود[5].

وكان داود أخو طُغْرُلْبَك قد ملك مدينة بلْخ، واستباحها، كما ذكرناه، ومودود

---

(١) انظر عن (مسعود بن محمود) في: المنتظم ٨/١١٣ رقم ١٤٨ (١٥/٢٨٣ رقم ٣٢٤٢)، ووفيات الأعيان ٥/١٨١، وآثار البلاد وأخبار العباد ٣٦٧، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٦٤، ١٦٥، ونهاية الأرب ٢٦/٧٢، ٧٣، ودول الإسلام ١/١٥٦، والعبر/٣/ ١٨٠، وتاريخ الإسلام (٤٢١ - ٤٤٠ هـ.) ص ٣٩٣ رقم ٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/٤٩٥ - ٤٩٧ رقم ٣٢٠، وتاريخ ابن الوردي ١/٥٢٤، ومرآة الجنان ٣/٥٤، والبداية والنهاية ١٢/٥٠، ومآثر الإنافة ١/٣٤٨، ٣٤٩، وتاريخ ابن خلدون ٤/٣٧٩، ٣٨٠ و٣٨٢ - ٣٨٤، وشذرات الذهب ٣/٢٥٣، ونزهة الخواطر ١/٧٤ - ٧٦، وأخبار الدول، بتحقيق د. حطيط ود. سعد ٢/٤٢٧، ٤٥٢، وتاريخ دولة آل سلجوق ٩، وزبدة التواريخ ٤٩ - ٥١، وتاريخ البيهقي ٩٨، ١٣١.

(٢) في (أ): «خشاوند».

(٣) في الأوربية: «وبنا».

(٤) زبدة التواريخ ٥١.

(٥) نهاية الأرب ٢٦/٧٥.

مقابله، فتجدّد قتل مسعود، فعاد ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فلمّا تجدّد هذا الظفر لمودود ثار أهل هَراة بمن عندهم من الغُزّ السلجوقيّة، فأخرجوهم وحفظوها لمودود.
واستقرّ الأمر لمودود بغَزْنة، ولم يبق له همّ إلا أمر أخيه مجدود، فإنّ أباه قد سيّره إلى الهند سنة ستّ وعشرين [وأربعمائة]، فخاف أن يخالف عليه، فأتاه خبره أنّه قصد لَهَاوُور، ومُلتان، فملكها، وأخذ الأموال، وجمع بها العساكر، وأظهر الخلاف على أخيه، فندب إليه مودود جيشاً ليمنعوه ويقاتلوه، وعرض مجدود عسكره للمسير، وحضر عيد الأضحى، فبقي بعده ثلاثة أيّام، وأصبح ميّتاً بلَهَاوُور لا يُدرى كيف كان موته، وأطاعت البلاد بأسرها مودوداً، ورَسَتْ قدمُه، وثبت مُلْكُه؛ ولمّا سمعت الغُزُّ السلجوقيّة ذلك خافوه، واستشعروا منه، وراسله ملك التُرْك بما وراء النهر بالإنقياد والمتابعة[1].

ذكر الخُلْف بين جلال الدولة وقِرْواش صاحب الموصل

في هذه السنة اختلف جلال الدولة، ملك العراق، وقِرْواش بن المقلّد العُقيليُّ، صاحب الموصل.

وكان سبب ذلك أنّ قِرواشاً كان قد أنفذ عسكراً سنة إحدى وثلاثين [وأربعمائة] فحصروا خميس بن ثعلب[2] بتكْرِيت، وجرى بين الطائفتَيْن حرب شديدة في ذي القعدة منها، فأرسل خميس ولده[3] إلى الملك جلالَ الدولة، وبذل بذولاً كثيرة ليكفّ عنه قِرواشاً، فأجابه إلى ذلك، وأرسل إلى قِرواش يأمره بالكفّ عنه، فغالط ولم يفعل، وسار بنفسه ونزل عليه يحاصره، فتأثّر جلال الدولة منه.

ثم إنّه أرسل كُتُباً إلى الأتراك ببغداذ يفسدهم، وأشار[4] عليهم بالشغب على الملك وإثارة الفتنة معه، فوصل خبرها إلى جلال الدولة، وأشياء أُخر كانت هذه هي

---

(١) نهاية الأرب ٢٦/ ٧٥، ٧٦.
(٢) في (أ): «تغلب».
(٣) في (أ): «والده».
(٤) في (أ): «ويشير».

الأصل، فأرسل جلال الدولة أبا الحارث أرسلان[1] البساسيري[2] في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ليقبض على نائب قِرواش بالسنديّة، فسار ومعه جماعة من الأتراك، (وتبِعه جمْعٌ من العرب)[3]، فرأى في طريقه جِمالاً لبني عيسى، فتسرّع إليها الأتراك والعرب فأخذوا منها قطعة، وأوغل الأتراك في الطلب.

وبلغ الخبر إلى العرب، وركبوا وتبِعوا الأتراك، وجرى بين الطائفتَيْن حرب انهزم فيها الأتراك، وأُسر منهم جماعة، وعاد المنهزمون فأخبروا البساسيريَّ بكثرة العرب، فعاد ولم يصل إلى مقصده.

وسار طائفة من بني عيسى، فكمنوا بين صَرْصَر وبغداذ ليفسدوا في السواد، فاتّفق أنْ وصل بعض أكابر القوّاد الأتراك[4]، فخرجوا عليه فقتلوه وجماعة من أصحابه، وحُملوا إلى بغداذ، فارتجّ البلد، واستحكمت الوحشة مع معتمد[5] الدولة قِرواش، فجمع جلال الدولة العساكر وسار إلى الأنبار، وهي لِقرواش، على عزم أخْذها منه، وغيرها من أقطاعه بالعراق، فلمّا وصلوا إلى الأنبار أُغلقتْ، وقاتلهم أصحاب قرواش، وسار قِرواش من تكريت إلى خُصَّة على عزم القتال، فلمّا نزل الملك جلال الدولة على الأنبار قلّت عليهم العلوفة، فسار جماعة من العسكر والعرب إلى الحديثة ليمتاروا منها، فخرج عليهم عندها جمْعٌ كثير من العرب، فأوقعوا بهم، فانهزم بعضهم وعادوا إلى العسكر، ونَهبت العرب ما معهم من الدوابّ التي تحمل الميرة، وبقي المرشد أبو الوفاء وهو المقدّم على العسكر الذين ساروا لإحضار الميرة وثبت معه جماعة.

ووصل الخبر إلى جلال الدولة أنّ المرشد أبا الوفاء (يقاتل، وأُخبر سلامته وصبره للعرب)[6]، وأنّهم يقاتلونه وهو يطلب النجدة، فسار الملك إليه بعسكر، فوصلوا، وقد عجز العرب عن الوصول إليه، وعادوا عنه بعد أن حملوا عليه وعلى من

---

(١) من (أ).

(٢) في الأصل مصحّفة.

(٣) من الباريسية.

(٤) في (أ): «والأتراك».

(٥) في الأوربية: «المعتمد».

(٦) في الباريسية: «صبر للعرب».

معه عدّة حملات صبر لها في قلّة من معه. ثم اختلفت عُقيل على قِرواش، فراسل جلال الدولة، وطلب رضاه، وبذل له بذلاً أصلحه به، وعاد إلى طاعته، فتحالفا، وعاد كلٌّ إلى مكانه.

ذكر ملك أبي الشوك دقوقا

كانت دَقوقا لأبي الماجد المهلهِل بن محمّد بن عنّاز، فسيّر إليها أخوه حسام الدولة أبو الشوك ولدَه سعدي، فحصرها، فقاتله من بها.

ثم سار أبو الشوك إليها، فجدّ في حصارها ونقب سورها ودخلها عَنوةً، ونهب أصحابه بعض البلد، وأخذوا سلاح الأكراد وثيابهم، وأقام حسام الدولة بالبلد ليلةً، وعاد خوفاً على البَنْدَنِيجَيْن وحُلوان، فإنّ أخاه سُرخاب بن محمّد بن عنّاز كان قد أغار على عدّة مواضع من ولايته، وحالف أبا الفتح بن ورّام والجاوانيّة[1] عليه، فأشفق من ذلك، وأرسل إلى جلال الدولة يطلب منه نجدةً، فسيّر إليه عسكراً امتنع بهم.

ذكر الحرب بين عسكر مصر والروم

في هذه السنة كانت الوقعة بين عسكر المصريّين (سيّره الدزبريُّ)[2] وبين الروم، فظفر المسلمون.

وكان سبب ذلك أنّ ملك الروم قد هادنه المستنصر بالله العلويُّ، صاحب مصر، على ما ذكرناه، فلمّا كان الآن شرع يراسل ابن صالح بن مرداس ويستميله، وراسله قبله صالح ليتقوّى به على الدزبريّ، خوفاً أن يأخذ منه الرَّقّة، فبلغ ذلك الدزبريَّ فتهدّد ابن صالح فاعتذر وجحد.

ثم إنّ جَمْعاً من بني جعفر بن كِلاب دخلوا ولاية أفامية[3]، فعاثوا فيها، ونهبوا

---

(١) في (أ): «والجامانية».

(٢) من (أ).

(٣) في الأوربية: «فامية».

عدّة قرى، فخرج عليهم جمْعٌ من الروم فقاتلوهم وأوقعوا بهم، ونكوا[1] فيهم، وأزالواهم عن بلادهم.

وبلغ ذلك الناظرَ بحلب، فأخرج[2] من بها من تُجّار الفرنج، وأرسل إلى المتولّي بأنطاكية يأمره بإخراج من عندهم من تجّار المسلمين، فأغلظ للرسول، وأراد قتلْه، ثم تركه، فأرسل الناظر بحلب إلى الدزبريّ يعرّفه الحال، وأنّ القوم على التجهّز لقصد البلاد، فجهّز الدزبريُّ جيشاً وسيّره على مقدّمته، فاتّفق أنّهم لقوا جيشاً للروم وقد خرجوا لمِثل ما خرج إليه[3] هؤلاء، والتقى الفريقان بين مدينة حماة وأفامية واشتدّ القتال بينهم، ثم إنّ الله نصر المسلمين، وأذلّ الكافرين، فانهزموا وقُتل منهم عدّة كثيرة، وأُسر ابن عمّ للملك، بذلوا في فدائه مالاً جزيلاً، وعدّة وافرة من أسراء المسلمين، وانكفّ الروم عن الأذى بعدها.

ذكر الخُلْف بين المعزّ وبني حمّاد

في هذه السنة خالف أولاد حمّاد على المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، وعادوا إلى ما كانوا عليه من العصيان والخلاف عليه، فسار إليهم المعزُّ، وجمع العساكر وحشدها، وحصر قلعتهم المعروفة بقلعة حمّاد، وضيّق عليهم، وأقام عليهم نحو سنتَيْن[4].

ذكر[5] صُلح أبي الشّوك وعلاء الدولة

وفيها سار مهلهلِ أخو أبي الشّوك إلى علاء الدولة بن كاكوَيْه، واستصرخه، واستعان به على أخيه أبي الشوك، فسار معه، فلمّا بلغ قَرميسِين رجع أبو الشوك إلى

---

(١) في الباريسية: «وبكوا».
(٢) في (أ): «فأخذ».
(٣) في الباريسية: «عليه».
(٤) نهاية الأرب ٢٤/٢٠٩.
(٥) في النسخة الباريسية و(أ) ورد العنوان التالي: «ذكر عصيان البختية على ابن مروان والحرب بينهم» وفيهما أيضاً خبر: «في هذه السنة توفي مامك بن منكلان الكردي.

حُلوان، فعرف علاء الدولة رجوعه، فسار يتبعه، حتّى بلغ المرج، وقرب من أبي الشوك، فعزم أبو الشوك على قصد قلعة السِّيرَوَان والتحصّن بها، ثم تجلّد، وأرسل إلى علاء الدولة: إنّني لم أنصرف من بين يديك إلاّ مراقبةً لك، وإعظاماً لقدرك، واستعطافاً لك، فإذا اضطّررتَني إلى ما لا أجد بُدّاً[1] منه كان العُذْر قائماً لي فيه، فإنْ ظفرت بك طمع فيك الأعداء، وإن ظفرتَ بي[2] سلّمت قلاعي وبلادي إلى الملك جلال الدولة. فأجابه علاء الدولة إلى الصلح على أن يكون له الدِّينَور، وعاد فلحِقه المرض في طريقه وتوفّي، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كان بإفريقية غلاء شديد، وسببه عدم الأمطار، فسُمّيت سنة الغُبار، ودام ذلك إلى سنة أربعٍ وثلاثين [وأربعمائة]، فخرج الناس فاستسقوا.

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي قُزُل أمير الغُزّ العراقيّة بالرَّيّ، ودُفن بناحية من أعمالها.

وفيها توفّي صاعد بن محمّد[3] أبو العلاء النَّيسابوريُّ ثم الأُسْتَوائيُّ[4]، قاضي نَيسابور، وكان عالماً فقيهاً، حنفيّاً، انتهت إليه رئاسة الحنفيّة بخُراسان.

---

(١) في نسخة بودليان رقم ٦٦١ و٧٣: «يداً»، وفي (أ) والباريسية: «إلى مالا حديداً».

(٢) في الأوربية: «في».

(٣) انظر عن (صاعد بن محمد) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٤٢، ٣٤٣ رقم ٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) الأُسْتَوائي: بضم الألِف، وسكون السين المهملة، وفتح التاء المثنّاة الفوقية أو ضمّها، وبعدها الواو والألِف. هذه النسبة إلى أُسْتَوا وهي ناحية بنيسابور كثيرة القرى والخير. (الأنساب ١/٢٢١، اللباب ٥٢/١).

٤٣٣
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة

ذكر وفاة علاء الدولة بن كاكوَيْه

في هذه السنة، في المحرّم، تُوُفّي علاء الدولة أبو جعفر بن دشمنزيار، المعروف بابن كاكوَيْه، بعد عَوده من بلد أبي الشوك، وإنّما قيل له كاكوَيْه لأنّه ابن خال مجد الدولة بن بُوَيْه، والخال بلُغَتِهم كاكوَيه، وقام بأصبهان ابنه ظهير الدين أبو منصور فرامرز مقامه، وهو أكبر أولاده، وأطاعه الجُند بها، فسار ولده أبو كاليجار كرشاسف إلى نهاوند، فأقام بها وحفظها، وضبط أعمال الجبل، وأخذها لنفسه، فأمسك عنه أخوه أبو منصور فرامرز.

ثم إنّ مستحفظاً لعلاء الدولة بقلعة نَطَنْز أرسل أبو منصور إليه يطلب شيئاً ممّا عنده من الأموال والذخائر، فامتنع وأظهر العصيان، فسار إليه أبو منصور، وأخوه الأصغر أبو حرب، ليأخذا[1] القلعة منه كيف أمكن، فصعِد أبو حرب إليها، ووافق المستحفظ على العصيان، فعاد أبو منصور إلى أصبهان، وأرسل أبو حرب إلى الغُزّ السلجوقيّة بالريّ يستنجدهم، فسار طائفة منهم إلى قاجان، فدخلوها ونهبوها وسلّموها إلى أبي حرب، وعادوا إلى الريّ، فسيّر إليها أبو منصور عسكراً ليستنقذها من أخيه، فجمع أبو حرب الأكراد وغيرهم، وجعل عليهم صاحباً له وسيّرهم إلى أصبهان ليملكوها بزعمه، فسيّر إليهم أخوه أبو منصور عسكراً، فالتقوا، وانهزم عسكر أبي حرب وأُسر جماعة منهم.

وتقدّم أصحاب أبي منصور فحصروا أبا حرب، فلمّا رأى الحال، وخاف، نزل

---

(١) في الأوربية: «ليأخذ».

منها متخفياً، وسار إلى شِيراز إلى الملك أبي كاليجار، صاحب فارس والعراق، فحسّن له قصْد أصبهان وأخذها من أخيه، فسار الملك إليها وحصرها، وبها الأمير أبو منصور، فامتنع عليه، وجرى بين الفريقَيْن عدّة وقائع، وكان آخر الأمر الصلح على أن يبقى أبو منصور بأصبهان، وتقرّر عليه مال، وعاد أبو حرب إلى قلعة نَطَنْز واشتدّ الحصار عليه، فأرسل إلى أخيه يطلب المصالحة، فاصطلحا على أن يعطي أخاه بعض ما في القلعة، ويبقى بها على حاله.

ثم إنّ إبراهيم يَنّال خرج إلى الرَّيّ، على ما نذكره، وأرسل إلى أبي منصور فرامرز يطلب منه الموادعة، فلم يُجِبْه، وسار فرامرز إلى همذان وبَرُوجِرد فملكهما، ثم اصطلح هو وأخوه كرشاسف، وأقطعه هَمَذَان، وخطب لأبي منصور على منابر بلاد كرشاسف، واتّفقت كلمتهما، وكان المدبّر لأمرهما الْكِيا أبو الفتح الحسن بن عبدالله، وهو الذي سعى في جمْع كلمتهما[1].

ذكر ملك طُغْرُلْبَك جُرجان وطَبَرِسْتان

في هذه السنة ملك طُغْرُلْبَك جُرجان وطَبَرستان؛ وسبب ذلك أنّ أنوشروان بن منوجهر بن قابوس بن وشْمكير صاحبها قبض على أبي كاليجار بن ويهان القوهيّ، صاحب جيشه، وزوّج أمّه بمساعدة أمّه عليه، فعلم حينئذٍ طُغْرُلْبك أنّ البلاد لا مانع له عنها، فسار إليها، وقصد جُرجان ومعه مرداويج بن بَسّو[2]، فلمّا نازلها فتح له المقيم بها، فدخلها وقرّر على أهلها مائة ألف دينار صلحاً، وسلّمها إلى مرداويج بن بسّو، وقرّر عليه خمسين ألف دينار كلّ سنة عن جميع الأعمال، وعاد إلى نَيسابور.

وقصد مرداويج أنو شروانَ بسَارِيَة، وكان بها، فاصطلحا على أن ضمن أنوشروان له ثلاثين ألف دينار، وأُقيمت الخطبة لطُغرلبك في البلاد كلّها، وتزوّج مرداويج بوالدة أنوشروان، وبقي أنوشروان يتصرّف بأمر مرداويج لا يخالفه في شيء البتّة.

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/٦٥، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢١، تاريخ ابن الوردي ١/٣٤٨.

(٢) في نسخة بودليان و(أ) والباريسية غير معجمة: «سو».

ذكر أحوال ملوك الروم

نذكر هاهنا أحوال الروم من عهد بسيل إلى الآن، فنقول: من عادة ملوك الروم أن يركبوا أيّام الأعياد إلى البِيعة المخصوصة بذلك العيد، فإذا اجتاز الملك بالأسواق شاهده الناس وبأيديهم المداخن يبخّرون فيها، فركب والد بسيل وقسطنطين في بعض الأعياد، وكان لبعض أكابر الروم بنت جميلة، فخرجت تشاهد الملك، فلمّا مرّ بها استحسنها، فأمر من يسأل عنها، فلمّا عرفها خطبها وتزوّجها وأحبّها، وولدت منه بسيل وقسطنطين، وتوفّي وهما صغيران، فتزوّجت بعده بمدّة طويلة نقفور[1]، فكره كلّ واحدٍ منهما صاحبه، فعملت على قتله، فراسلت الشمشقيق في ذلك، فقصد قُسطنطينيّة متخفياً، فأدخلته إلى دار الملك، واتّفقا وقتلاه ليلاً، وأحضرت البطارقة متفرّقين، وأعطتهم الأموال ودعتهم إلى تمليك الشمشقيق[2]، ففعلوا، ولم يصبح، وقد فرغت ممّا تريد ولم يجرِ خُلْفٌ.

وتزوّجت الشمشقيق وأقامت معه سنة، فخافها، واحتال عليها وأخرجها إلى دَيْرٍ بعيدٍ، وحمل ولدَيْها معها، فأقامت فيه سنة، ثم أحضرت راهباً، ووهبتْه مالاً، وأمرته بقصد قُسطنطينية، والمقام بكنيسة الملك، والاقتصار على قدْر القُوت، فإذا وثق به الملك، وأراد القربان من يده ليلة العيد سقاه سمّاً، ففعل الراهب ذلك، فلمّا كان ليلة العيد سارت ومعها ولداها، ووصلت قُسطنطينيّة في اليوم الذي توفّي فيه الشمشقيق، فملك ولدها بسيل، ودبّرت هي الأمر لصغره، فلمّا كبر بسيل قصد بلد البُلغار، وتوفّيت، وهو هناك، فبلغه وفاتها، فأمر خادماً له أن يدبّر الأمور في غيبته.

ودام قتاله لبُلغار أربعين سنة، فظفروا به، فعاد مهزوماً، وأقام بالقسطنطينية يتجهّز للعَوْد، فعاد إليهم، فظفر بهم، وقتل ملكهم، وسبى[3] أهله وأولاده، وملك بلاده، ونقل أهلها إلى الروم، وأسكن البلاد طائفة من الروم، وهؤلاء البُلغار غير الطائفة المسلمة، فإنّ هؤلاء أقرب إلى بلد الروم من المسلمين بنحو شهرَيْن، وكلاهما يسمّى بُلْغار.

---

(١) في الأوربية: «تقفور».
(٢) في الأوربية: «تقفور».
(٣) في الأوربية: «وسبا».

وكان بسيل عادلاً ، حسن السيرة، ودام ملكه نيّفاً وسبعين سنة، وتوفّي ولم يخلّف ولداً، فملك أخوه قسطنطين، وبقي إلى أن توفّي، ولم يُخلّف[1] غير ثلاث بنات، فملكت الكبرى، وتزوّجت أرمانوس، وهو من أقارب الملك، وملّكته، فبقي مدّةً، وهو الذي ملك الرُّها من المسلمين.

وكان لأرمانوس صاحب له يخدمه، قبل ملكه، من أولاد بعض الصيارف، اسمه ميخائيل، فلمّا ملك حكّمه في داره، فمالت زوجة قسطنطين إليه، وعملا الحيلة في قتل أرمانوس، فمرض أرمانوس فأدخلاه إلى الحمّام كارهاً وخنقاه، وأظها أنّه مات في الحمّام، وملّكت زوجته ميخائيل، وتزوّجته على كرهٍ من الروم.

وعرض لميخائيل صَرَعٌ لازَمَه وشوّه صورته، فعهد بالمُلْك بعده إلى ابن أخت له اسمه ميخائيل أيضاً. فلمّا توفّي مَلَك ابن أخته[2] وأحسن السيرة، وقبض على أهل خاله وإخوته، وهم أخواله، وضرب الدنانير في هذه السنة، وهي [سنة] ثلاثٍ وثلاثين، ثم أحضر زوجته بنت الملك وطلب منها أن تترهّب وتنزع نفسها عن الملك، فأبتْ، فضربها وسيّرها إلى جزيرة في البحر، ثم عزم على القبض على البطرك، والاستراحة من تحكّمه عليه، فإنّه كان لا يقدر على مخالفته، فطلب إليه أن يعمل له طعاماً في دَيْرٍ ذكره بظاهر القسطنطينيّة ليحضر عنده، فأجابه إلى ذلك، وخرج إلى الدير ليعمل ما قال الملك، فأرسل الملك جماعة من الروس والبُلغار، ووافقهم على قتله سرّاً، فقصدوه ليلاً وحصروه في الدّير، فبذل لهم مالاً كثيراً، وخرج متخفيّاً، وقصد البِيعة الّتي يسكنها، وضرب الناقوس، فاجتمع الروم عليه، ودعاهم إلى عزل الملك، فأجابوه إلى ذلك، وحصروا الملك في دار، فأرسل الملك إلى زوجته وأحضرها من الجزيرة التي نفاها إليها، ورغب في أن تردّ عنه، فلم تفعل، وأخرجته إلى بِيعة يترهّب فيها.

ثم إنّ البطرك والروم نزعوا زوجته من المُلك، وملّكوا أختاً لها صغيرة، واسمها تَذُورة[3]، وجعلوا معها خدم أبيها يدبّرون الملك، وكحّلوا ميخائيل، ووقعت الحرب

(١) في الأوربية: «تخلف».
(٢) في تاريخ حلب للعظيمي ٣٣٥ «ابن أخيه».
(٣) في نسخة بودليان، رقم ٦٦١ «تدوره»، وفي (أ) والنسخة الباريسية «بدوره» وفي تاريخ حلب ٣٣٥ «تيودورا».

بالقسطنطينيّة بين مَن يتعصّب له وبين من يتعصّب لتَذُورة والبطرك، فظفر أصحاب تَذُورة بهم، ونهبوا أموالهم.

ثم إنّ الروم افتقروا إلى ملكٍ يدبّرهم، فكتبوا أسماء جماعة يصلحون للمُلك في رِقاع، ووضعوها في بنادق طِين، وأمروا من يخرج منها بندقة، وهو لا يعرف باسم من فيها، فخرج اسم قُسطنطين، فملّكوه وتزوّجته الملكة الكبيرة[1]، واستنزلت أختَها الصغيرة تَذُورة عن المُلْك بمالٍ بَذَلَته لها، واستقرّ في المُلك سنة أربعٍ وثلاثين [وأربعمائة]، فخرج عليه فيها خارجيٌّ من الروم اسمه أرميناس، ودعا إلى نفسه، فكثُر جَمْعُه حتّى زادوا على عشرين ألفاً. فأهَمَّ قسطنطينَ أمرُهُ، وسيَّر إليه جيشاً كثيفاً، فظفروا بالخارجيّ وقتلوه، وحملوا رأسه إلى القسطنطينيّة، وأسر من أعيان أصحابه مائة رجل[2]، فشُهروا في البلد، ثم أُطلقوا وأُعطوا نفقة، وأُمروا بالانصراف إلى أيّ جهة أرادوا[3].

ذكر فساد حال الدِّزْبَريّ

بالشام وما صار الأمر إليه بالبلاد

في هذه السنة فسد أمر أنوشتكين الدِّزْبَريّ، نائب المستنصر بالله، صاحب مصر، بالشام، وقد كان كبيراً على مخدومه بما يراه من تعظيم الملوك له، وهيبة الروم منه.

وكان الوزير أبو القاسم الجَرجرائيُّ يقصده ويحسده، إلاّ أنّه لا يجد طريقاً إلى الوقيعة فيه؛ ثم اتّفق أنّه سُعي بكاتب للدِّزبريّ اسمه أبو سعد، وقيل عنه إنّه يستميل صاحبه إلى غير جهة المصريّين، فكوتب الدِّزبريُّ بإبعاده، فلم يفعل، واستوحشوا منه، ووضع الجَرجرائيّ حاجب الدِّزْبَريّ وغيره على مخالفته.

ثم إنّ جماعة من الأجناد قصدوا مصر، وشكوا إلى الجَرجرائيّ منه، فعرّفهم سوء رأيه فيه، وأعادهم إلى دمشق، وأمرهم بإفساد الجُنْد عليه ففعلوا ذلك.

---

(١) في تاريخ حلب ٣٣٥ اسمها: «زويني».

(٢) في الأوربية: «ما يتراجل».

(٣) انظر باختصار: تاريخ حلب للعظيمي ٣٣٤، ٣٣٥.

وأحسّ الدِّزبريُّ بما يجري، فأظهر ما في نفسه، وأحضر نائب الجَرْجرائيّ عنده، وأمر بإهانته وضربه، ثم إنّه أطلق لطائفة من العسكر يلزمون خدمته أرزاقهم، ومنع الباقين، فحرّك ما في نفوسهم، وقوّى طمعهم فيه، بما كوتبوا به من مصر، فأظهروا الشغب عليه، وقصدوا قصره، وهو بظاهر البلد، وتبِعهم من العامّة من يريد النهب، فاقتتلوا، فعلم الدّزبريُّ ضعفه وعجزه عنهم، ففارق مكانه، واستصحب أربعين غلاماً له، وما أمكنه من الدوابّ والأثاث والأموال، ونُهب الباقي، وسار إلى بعلبكّ، فمنعه مستحفظها، وأخذ ما أمكنه أخْذه من مال الدّزْبريّ، وتبِعه طائفة من الجُند يَقْفُون أثره، وينهبون ما يقدرون عليه.

وسار إلى مدينة حماة، فَمنُع عنها، وقوتل، وكاتب المقلّدَ بن منقذ الكنانيَّ الكَفَرْطابيَّ، واستدعاه، فأجابه، وحضر عنده في نحو ألفَيْ رجلٍ من كَفَرْطاب وغيرها، فاحتمى به، وسار إلى حلب، ودخلها، وأقام بها مدّةً، وتُوُفّي في منتصف جمادى الأولى من هذه السنة[1].

فلمّا تُوُفّي فسد أمر بلاد الشام، وانتشرت الأمور بها، وزال النظام، وطمعت العرب، وخرجوا في نواحيه، فخرج حسّان بن المفرّج الطّائيُّ بفلسطين؛ وخرج معزُّ الدولة بن صالح الكِلابيُّ بحلب، وقصدها وحصرها، وملك المدينة، وامتنع أصحاب الدّزبريّ بالقلعة، وكتبوا إلى مصر يطلبون النجدة، فلم يفعلوا، واشتغل عساكر دمشق ومقدّمهم الحسين بن أحمد الذي وليَ أمر دمشق، بعد الدّزْبريّ، بحرب حسّان، ووقع الموت في الذين في القلعة، فسلّموها إلى معزّ الدولة بالأمان[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سيّر الملك أبو كاليجار من فارس عسكراً في البحر إلى عُمان،

---

(١) انظر عن (الدزبري) في: ذيل تاريخ دمشق ٧١ - ٧٩ وفيه وفاته سنة ٤٣٦ هـ. (ص ٧٨)، وزبدة الحلب ١/٢٥٩، ٢٦٠ وفيه وفاته سنة ٤٣٣ هـ.، وانظر: تاريخ حلب للعظيمي ٣٣٤، وتاريخ الإسلام (٤٢١ - ٤٤٠ هـ.) - بتحقيقنا - ص ٣٩٤ - ٣٩٧ رقم ١٠٠ وفيه وفاته كما هنا، وكذا في المصادر التي حشدتها بالحاشية.

(٢) زبدة الحلب ١/٢٦٠، ٢٦١.

وكان قد عصى مَن بها، فوصل العسكر إلى صُحار مدينة عُمان فملكوها، واستعادوا الخارجين عن الطاعة، واستقرّت الأمور بها، وعادت العساكر إلى فارس.

وفيها قصد أبو نصر بن الهيثم الصَّليقَ من البطائح، فملكها ونهبها، ثم استقرّ أمرها على مالٍ يؤدّيه إلى جلال الدولة.

وفيها تُوُفّي أبو منصور بَهرام بن مافنّة، وهو الملقّب بالعادل، وزير الملك أبي كاليجار، ومولده سنة ستّ وستّين وثلاثمائة، وكان حَسَن السيرة، وبنى[1] دار الكتب بفَيروزاباذ، وجعل فيها سبعة آلاف مجلّد[2]، فلمّا مات وَزَر بعده مهذّب الدولة أبو منصور هبة الله بن أحمد الفَسَويُّ.

وفيها وصل جماعة من البُلغار إلى بغداذ يريدون الحجّ، فأُقيم لهم من الديوان الإقامات الوافرة، فسُئل بعضهم: من أيّ الأمم هم البُلْغار؟ فقال: هم قومٌ تولّدوا بين التُرْك والصقالبة، وبلدهم في أقصى التُرك، وكانوا كُفّاراً، فأسلموا عن قريب، وهم على مذهب أبي حنيفة، رضي الله عنه[3].

[الوَفيات]

وفيها تُوُفّي ميخائيل ملك الروم، ومَلَكَ بعده ابن أخيه ميخائيل أيضاً[4].

وفيها، في جُمادى الآخرة، تُوُفّي أبو الحسن محمّد بن جعفر الجَهْرَميُّ[5] الشاعر، وهو القائل:

---

(١) في الأوربية: «وبنا».

(٢) المنتظم ٨/ ١١١ رقم ١٤٣ (١٥/ ٢٨٢ رقم ٣٢٣٧)، البداية والنهاية ١٢/ ٤٩ وفيه: «يهرام بن منافيه».

(٣) المنتظم ٨/ ١٠٨ (١٥/ ٢٧٩)، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢١، البداية والنهاية ١٢/ ٤٩ وفيه «الأكراد» بدل «التُرك» وهو وهْم.

(٤) تاريخ حلب للعظيمي ٣٣٤، ٣٣٥.

(٥) انظر عن (محمد بن جعفر الجهرمي) في: تاريخ بغداد ٢/ ١٥٩، وتاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ٣٣٥، و(تحقيق علي سويم) ص ٣، والمنتظم ٨/ ١١٢، ١١٣ رقم ١٤٧ (١٥/ ٢٨٣ رقم ٣٢٤١)، وزبدة الحلب ١/ ٢٦٠، ٢٦١، وتاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٩١ رقم ٩٣. وقد تصحّفت نسبة «الجهرمي» إلى «الحميري» في تاريخ حلب ـ ص ٣ بتحقيق سويم.

يـــا وَيـــحَ قلبـــي مـــن تقلُّبـــهِ أبـــداً يَحِـــنُّ إلـــى مُعَـــذِّبـــهِ
قـــالـــوا: كتمـــتَ هـــواه عـــن جَلَـــدٍ لـــو أنّ لـــي رَمَقَـــاً لَبُحْـــتُ بـــهِ
بـــأبـــي حبيبـــاً غيـــرَ مكتـــرثٍ عنّـــي، ويُكثِـــرُ مِـــن تعتبُّـــهِ
حَسبـــي رضـــاه مِـــنَ الحيـــاةِ، ومـــا قلقـــي ومـــوتـــي مـــن تغضبُّـــهِ[1]

وكان بينه وبين المُطرِّز مهاجاة.

(١) الأبيات في: تاريخ بغداد، والمنتظم.

٤٣٤
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة

ذكر ملك طُغْرُلْبَك مدينة خُوارزم

قد تقدّم أنّ خُوارزم كانت من جملة مملكة محمود بن سبكتِكِين، فلمّا تُوُفّي وملك بعده ابنه مسعود كانت له، وكان فيها ألْتُونتاش، حاجب أبيه محمود، وهو من أكابر أمرائه، يتولاّها لمحمود، ومسعود بعده، ولمّا كان مسعود مشغولاً بقصد أخيه محمّد لأخذ الملك قصد الأمير عليّ تكين، صاحب ما وراء النهر، أطراف بلاده وشعّثها، فلمّا فرغ مسعود من أمر أخيه واستقرّ الملك له كاتب ألْتُونتاشَ في سنة أربعٍ وعشرين [وأربعمائة] بقصد أعمال عليّ تكين، وأخذ بُخَارى وسمرقند، وأمدّه بجيشٍ كثيف، فعبر جَيحون، وفتح من بلاد عليّ تكين ما أراد، وانحاز عليّ تكين من بين يديه.

وأقام ألْتُونتاش بالبلاد التي فتحها، فرأى دَخْلها لا يفي بما تحتاج عساكره لأنّه كان يريد [أن] يكون في جمْعٍ كثير يمتنع بهم على التُّرك، فكاتب مسعوداً في ذلك واستأذنه في العَود إلى خوارزم، فأذِن له، فلمّا عاد لحِقه عليّ تكين على غِرّةٍ، وكبسه، فانهزم عليّ تكين، وصعِد إلى قلعة دَبُوسِيَة، فحصره ألْتُونْتاش، وكاد يأخذه، فراسله عليّ تكين واستعطفه وضرع إليه، فرحل عنه وعاد إلى خوارزم.

وأصاب ألْتُونتاشَ في هذه الوقعة جراحةٌ، فلمّا عاد إلى خُوارزم مرض منها وتُوُفّي، وخلّف من الأولاد ثلاثة بنين: هاون، ورشيد، وإسماعيل، فلمّا تُوُفّي ضبط البلدَ وزيره أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد، وحفظ الخزائن وغيرها، وأعلم مسعوداً الخبر، فولّى ابنه الأكبر هارون خُوارزم، وسيّره إليها وكان عنده.

الصمد واستوزره، فاستناب أبو نصر عند هارون ابنه عبد الجبّار، وجعله وزيره، فجرى بينه وبين هارون منافرة أسرّها هارون في نفسه، وحسّن له أصحابه القبض على عبد الجبّار، والعصيان على مسعود، فأظهر العصيان في شهر رمضان سنة خمسٍ وعشرين [وأربعمائة]، وأراد قتل عبد الجبّار، فاختفى منه، فقال أعداء أبيه للملك مسعود: إنّ أبا نصر قد واطأ هارون على العصيان، وإنّما اختفى ابنه حيلةً ومكراً؛ فاستوحش منه إلاّ أنّه لم يُظهر ذلك له.

وعزم مسعود على الخروج من غَزْنة إلى خُوارزم، فسار عن غَزْنة ، والزمان شتاء، فلم يمكنه قصد خُوارزم، فسار إلى جُرجان طالباً أنوشروان بن منوجهر ليقابله على ما ظهر منه عند اشتغال مسعود بقتال أحمد ينالتكين ببلاد الهند. فلمّا كان ببلاد جُرجان أتاه كتاب عبد الجبّار أبي نصر بقتل هارون، وإعادة البلد إلى طاعته، وكان عبد الجبّار بن في بدء استتاره يعمل على قتل هارون، ووضع جماعة على الفتك به، فقتلوه عند خروجه إلى الصيد، وقام عبد الجبّار بحفظ البلد.

فلمّا وقف مسعود على كتاب عبد الجبّار علم أنّ الذي قيل عن أبيه كان باطلاً، فعاد إلى الثقة به، وبقي عبد الجبّار أيّاماً يسيرة، فوثب به غلمان هارون فقتلوه، وولّوا البلد إسماعيل بن ألْتُونْتاش، وقام بأمره شُكْر خادم أبيه، وعَصَوا على مسعود، فكتب مسعود إلى شاهملك بن عليّ، أحد أصحاب الأطراف بنواحي خُوارزم، بقصد خُوارزم وأخْذها، فسار إليها، فقاتله شُكر وإسماعيل، ومنعاه[1] عن البلد، فهزمهما وملك البلد، فسارا إلى طغرلبك وداود السلجقيّين والتجآ إليهما، وطلبا المعونة منهما، فسار داود معهما إلى خُوارزم، فلقيهم شاهملك وقاتلهم فهزمهم؛ ولمّا جرى على مسعود من القتل ما جرى وملك مودود دخل شاهملك في طاعته وصافاه، وتمسّك كلّ واحدٍ منهما بصاحبه.

ثمّ إنّ طُغْرُلْبك سار إلى خُوارزم فحصرها وملكها واستولى عليها، وانهزم شاهملك بين يديه، واستصحب أمواله وذخائره، ومضى في المفازة إلى دِهِسْتان، ثم انتقل عنها إلى طَبَس، ثم إلى أطراف كَرمان، ثم إلى أعمال التِّيز ومُكران، فلمّا وصل

---

(١) في الأوربية: «ومنعوه».

إلى هناك علم خلاصه ببُعده، وأمِن في نفسه، فعرف خبره أرتاش، أخو إبراهيم يَنّال، وهو ابن عمّ طُغْرُلْبك، فقصده في أربعة آلاف فارس، فأوقع به وأسره وأخذ ما معه، ثم عاد بهِ فسلّمه إلى داود، وحصل هو بما غنم من أمواله، وعاد بعد ذلك إلى بَاذَغِيسَ المقاربة لهَراة، وأقام على محاصرة هَراة، لأنّهم إلى هذه الغاية كانوا مقيمين على الامتناع والاعتصام ببلدهم والثبات على طاعة مودود بن مسعود، فقاتلهم أهل هَراة، وحفظوا بلدهم مع خراب سوادهم، وإنّما حملهم على ذلك، الحربُ خوفاً من الغُزّ.

ذكر قصد إبراهيم يَنّال همذان وما كان منه

قد ذكرنا خروج إبراهيم يَنّال من خُراسان إلى الريّ، واستيلاءه عليها(١). فلمّا استقرّ أمرها سار عنها، وملك البلاد المجارة لها، ثم انتقل إلى بَرُوجِرْدَ فملكها، ثم قصد هَمَذان، وكان بها أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة صاحبها، ففارقها إلى سابور خُواست، ونزل إبراهيم يَنّال على هَمذان، وأراد دخولها، فقال له أهلها: إن كنتَ تريد الطاعة، وما يطلبه السلطان من الرعيّة، فنحن باذلوه، وداخلون تحته، فاطلب أوّلاً هذا المخالف عليك الذي كان عندنا، يعنون كرشاسف، فإنّا لا نأمن عَوده إلينا، فإذا ملكتَه أو دفعتَه كنّا لك.

فكفّ عنهم وسار إلى كرشاسف، بعد أن أخذ من أهل البلد مالاً، فلمّا قارب سابور خُواست صعِد كرشاسف إلى القلعة، فتحصّن بها، وحصر إبراهيم البلد، فقاتله أهله خوفاً من الغُزّ، فلم يكن لهم طاقة على دفعهم، فملك البلد قهراً، ونهب الغُزّ أهله، وفعلوا الأفاعيل القبيحة بهم، ثم عادوا بما غنموه إلى الرَّيّ، فرأوا طُغْرُلْبك قد وردها، ولمّا فارق إبراهيم والغُزّ همذان نزل كرشاسف إليها، فأقام بها إلى أن وصل طُغْرُلْبك إلى الرَّيّ فسار إليه إبراهيم، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر خروج طُغْرُلْبك إلى الرَّيّ وملك بلد الجبل

في هذه السنة خرج طُغْرُلْبَك من خُراسان إلى الرَّيّ، بعد فراغه من خُوارزم، وجُرجان، وطَبَرِستان، فلمّا سمع أخوه إبراهيم يَنّال بقدومه سار إليه فلقِيه، وتسلّم

(١) المنتظم ٨/ ١١٤ (١٥/ ٢٨٦).

طُغْرُلْبك الريّ منه، وتسلّم غيرها من بلد الجبل، وسار إبراهيم إلى سِجِستان، وأخذ طُغْرُلْبك أيضاً قلعة طَبَرَك من مجد الدولة بن بُوَيْه، وأقام عنده مُكَرماً، وأمر طُغْرُلْبك بعمارة الريّ وكانت قد خربت، فوجد في دار الإمارة مراكب ذهبٍ مجوهرة وبَرْنِيّتَيْ[١] صينيّ مملوءتين[٢] جوهراً، ومالاً كثيراً، وغير ذلك[٣].

وكان كامرو يهادي طُغْرلبك، وهو بخُراسان، ويخدمه، وخدم أخاه إبراهيم لمّا كان بالريّ، فلمّا حضر عنده أهدى له هدايا كثيرة من أنواع شتّى[٤]، وهو يظنّ أنّ طُغْرُلْبك يزيد في إقطاعه، ويرعى له ما تقدّم من خدمته له، فخاب ظنّه، وقرّر على ما بيده كلّ سنةٍ سبعةً وعشرين ألف دينار.

ثمّ سار إلى قزْوين، فامتنع عليه أهلُها، فزحف إليهم ورماهم بالسهام والحجارة، فلم يقدروا أن يقفوا على السور، وقتل من أهل البلد برشق، وأخذ ثلاثمائة وخمسين رجلاً، فلمّا رأى كامرو ومرداويج بن بَسّو[٥] ذلك خافوا أن يملك البلد عَنوةً وينهب، فمنعوا الناس من القتال، وأصلحوا الحال على ثمانين ألف دينار، وصار صاحبها في طاعته.

ثم إنّه أرسل إلى كوكتاش وبوقا وغيرهما من أمراء الغُزّ، الذين تقدّم خروجهم، يُمَنّيهم، ويدعوهم إلى الحضور في خدمته، فلمّا وصل رسوله إليهم ساروا حتّى نزلوا على نهر بنواحي زَنْجَان، ثم أعادوا رسوله، وقالوا له: قل له قد علمنا أنّ غرضك أن تجمعنا لتقبض علينا، والخوف منك أبعدنا عنك، وقد نزلنا هاهنا، فإن اردتّنَا قصدنا خُراسان، أو الروم، ولا نجتمع بك أبداً.

وأرسل طُغْرلبك إلى ملك الدَّيلم يدعوه إلى الطّاعة، ويطلب منه مالاً، ففعل ذلك، وحمل إليه مالاً وعروضاً، وأرسل أيضاً إلى سلار الطَّرْم يدعوه إلى خدمته،

---

(١) في (أ) والباريسية: «بزينتين»، وفي نسخة بودليان رقم ٧٣ «برنيين»، ورقم ٦٦١ «بزيتين». وفي المنتظم ٨/ ١٥١ (١٥/ ٣٣١) في حوادث ٤٤٣ هـ. «برنيتين صيني».

(٢) في الأوربية: «مملوءة».

(٣) تاريخ دولة آل سلجوق ١٠.

(٤) في الأوربية: «مشتى».

(٥) مهملة في الأصل: «سو».

ويطالب بحمل مائتَيْ ألف دينار، فاستقرّ الحال بينهما على الطاعة وشيء من المال. وأرسل سريّةً إلى أصبهان، وبها أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة، فأغارت على أعمالها وعادت سالمةً.

وخرج طُغْرُلْبك من الرَّيّ، وأظهر قصْد أصبهان، فراسله فرامرز، وصانعه بمال، فعاد عنه وسار إلى هَمذان فملكها من صاحبها كرشاسف بن علاء الدولة، وكان قد نزل إليه، وهو بالريّ، بعد أن راسله طُغْرُلْبك غير مرّة، وسار معه من الريّ إلى أبْهَروزَنْجان، فأخذ منه هَمَذان، وتفرّق أصحابه عنه، وطلب منه طُغْرُلْبك تسليم قلعة كِنْكِوَر، فأرسل إلى مَن بها بالتسليم، فلم يفعلوا، وقالوا لرُسل طُغْرُلْبك: قل لصاحبك والله لو قطّعتَهُ قطعاً ما سلّمناها إليك. فقال له طُغْرُلْبك: ما امتنعوا إلاّ بأمرك ورأيك، فاصعدْ إليهم، وأقمْ معهم، ولا تفارق موضعك حتّى آذن لك.

ثم عاد إلى الريّ، واستناب بهمَذان ناصراً العلويَّ، وكان كرشاسف قد قبض عليه، فأخرجه طُغْرُلْبك وولاّه الرَّيّ وأمره بمساعدة من يجعله في البلد، وكان معه مرداويج بن بسّو[1] نائبه في جُرجان وطَبَرِستان، فمات، وقام ولده جسْتان مقامه، فسار طُغْرُلْبك إلى جُرجان، فعزل جستان عنها، واستعمل على جرجان أسفار، وهو من خواصّ منوجهر بن قابوس، فلمّا فرغ أمر جُرجان وطَبَرستان سار إلى دِهِستان فحصرها، وبها صاحبها كاميار، معتصماً بها لحصانتها.

ذكر مسير عساكر طُغْرُلْبك إلى كَرْمان

وسيّر طُغْرُلْبك طائفة من أصحابه إلى كرمان مع أخِيه إبراهيم يَنّال، بعد أن دخل الرَّيّ، وقيل إنّ إبراهيم لم يقصد كَرمان، وإنّما قصد سِجِستان، وكان مقدّم العساكر التي سارت إلى كَرمان غيره، فلمّا وصلوا إلى أطراف كرمان نهبوا، ولم يقدموا على التوغّل فيها، فلم يروا من العساكر من يكفّهم، فتوسّطوها وملكوا عدّة مواضع منها ونهبوها.

فبلغ الخبر إلى الملك أبي كاليجار، صاحبها، فسيّر وزيره مهذّب الدولة في

---

(١) في الأصل مهملة «سو».

العساكر الكثيرة، وأمره بالجدّ في المسير ليدركهم قبل أن يملكوا جِيرَفْتَ، وكانوا يحاصرونها، فطوى المراحل حتّى قاربهم، فرحلوا عن جِيرَفْتَ ونزلوا على ستّة فراسخ منها.

وجاء مهذّب الدولة فنزلها وأرسل ليحمل الميرة إلى العسكر، فخرجت الغُزّ إلى الجمال والبغال والميرة ليأخذوها، وسمع مهذبّ الدولة ذلك، فسيّر طائفة من العسكر لمنعهم، فتواقعوا واقتتلوا، وتكاثَرَ[١] الغُزُّ، فسمع مهذّب الدولة الخبر، فسار في العساكر إلى المعركة، وهم يقتتلون، وقد ثبتت كلّ طائفة لصاحبتها[٢] واشتدّ القتال إلى حدّ أنّ بعض الغُزّ رمى[٣] فرس بعض أصحاب أبي كاليجار بسهم، فوقع فيه، وطعنه صاحب الفرس برمح، فأصاب فرس الغُزّيّ، وحمل الغُزّيُّ على صاحب الفرس، فضربه ضربة قطعت يده، وحمل عليه صاحب الفرس وهو على هذه الحالة، فضربه بسيفه فقطعه قطعتَيْن، وسقطا إلى الأرض قتيلَيْن، والفرسان قتيلان، وهذه حالة لم يدوّن عن مقدّمي الشجعان أحسن منها.

فلمّا وصل مهذّب الدولة إلى المعركة انهزم الغُزُّ وتركوا ما كانوا ينهبونه[٤]، ودخلوا المفازة، وتبعم الديلم إلى رأس الحدّ، وعادوا إلى كَرمان فأصلحوا ما فسد منها.

ذكر الوحشة بين القائم بأمر الله أمير المؤمنين وجلال الدولة

في هذه السنة افتُتِحت الجوالي في المحرّم ببغداذ، فأنفذ الملك جلال الدولة فأخذ ما تحصّل منها، وكانت العادة أن يُحمل ما يحصّل منها إلى الخلفاء لا تعارضهم فيها الملوك، فلمّا فعل جلال الدولة ذلك عُظم الأمر فيه على القائم[٥] بأمر الله واشتدّ عليه، وأرسل مع أقضى القضاة أبي الحسن الماورديّ في ذلك، وتكرّرت الرسائل،

(١) في الأوربية: «وتكاثروا».
(٢) في الأوربية: «لصاحبها».
(٣) في الأوربية: «رما».
(٤) في الأوربية: «ينهبوه».
(٥) في الأوربية: «قائم».

فلم يُصْغِ جلال الدولة لذلك، وأخذ الجوالي، فجمع الخليفة الهاشميّين بالدار والرَّجّالة، وتقدّم بإصلاح الطيّار والزبازب، وأرسل إلى أصحاب الأطراف والقضاة بما عزم عليه، وأظهر العزم على مفارقة بغداذ، فلم يتمّ ذلك، وحدث وحشة من الجهتَيْن، فاقتضت الحال أنّ الملك يترك معارضة النوّاب الإماميّة فيها في السنة الآتية[(١)].

ذكر محاصرة شَهْرزور وغيرها

(في هذه السنة)[(٢)] سار أبو الشوك إلى شهرزور، فحصرها ونهبها وأحرقها وخرّب قُراها وسوادها، وحصر قلعة تِبرَانْشَاه، فدفعه أبو القاسم بن عياض عنها. ووعده أن يخلّص ولدَه أبا الفتح من أخيه مُهلهل، وأن يصلح بينهما.

وكان مُهلهل قد سار من شَهرزور لمّا بلغه أنّ أخاه[(٣)] أبا الشوك يريد قصدها، وقصد نواحي سَنْدَة وغيرها من ولايات أبي الشوك، فنهبها وأحرقها وهلكت الرعيّة في الجهتَيْن.

ثم إنّ أبا الشوك راسل أبا القاسم بن عياض يستنجزه[(٤)] ما وعده به من تخليص ولده والشروط التي تقرّرت بينهما، فأجابه بأنّ مهلهِلاً غيرَ مجيبٍ إليه. فعند ذلك سار أبو الشوك من حُلوان إلى الصّامغان ونهبها، ونهب الولاية التي لمهلهِل جميعها، فانزاح مهلهِل من بين يديه، وتردّدت الرسل بينهما، فاصطلحا على دغَل ودَخَل، وعاد أبو الشوك.

ذكر خروج سكين بمصر[(٥)]

في هذه السنة، في رجب، خرج بمصر إنسان اسمه سُكَين، كان يشبه الحاكم[(٦)]

---

(١) المنتظم ١١٣/٨ (٢٨٥/١٥)، المختصر في أخبار البشر ١٦٦/٢، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢٥، تاريخ ابن الوردي ٣٤٨/١، البداية والنهاية ٥٠/١٢، مآثر الإنافة ٣٦٦/١، تاريخ ابن خلدون ٤٥٣/٣.

(٢) في (أ): «فيها».

(٣) في (أ): «أخاك».

(٤) في الأوربية: «ينتجزه».

(٥) العنوان من الباريسية. وفي (أ) سنة ٤٦٧ هـ.

(٦) في الأوربية «يتشبّه للحاكم».

صاحب مصر، فادّعى أنّه الحاكم، وقد رجع بعد موته، فاتّبه جمْعٌ ممّن يعتقد رجعة الحاكم، فاغتنموا خُلُوَّ دار الخليفة بمصر من الجُند، وقصدوها مع سُكَين نصف النهار، فدخلوا الدِّهْليز، فوثب مَنْ هناك من الجُنْد، فقال لهم أصحابه: إنّه الحاكم، فارتاعوا لذلك، ثم ارتابوا به، فقبضوا على سكين، ووقع الصوت، واقتتلوا، فتراجع الجُند إلى القصر، والحرب قائمةٌ[1]، فقُتل من أصحابه جماعة، وأُسر الباقون وصُلبوا أحياء، ورماهم الجُند بالنشّاب حتّى ماتوا[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كانت زلزلة عظيمة بمدينة تِبريز، هدمت قلعتها وسورها ودُورها وأسواقها وأكثر دار الإمارة، وسلِم الأمير لأنّه كان في بعض البساتين، فأُحصي مَنْ هلك من أهل البلد، وكانوا قرباً من خمسين ألفاً، ولبس الأمير السواد والمسوح لِعِظَم المصيبة، وعزم على الصّعود إلى بعض قلاعه، خوفاً من توجّه الغُزّ السلجوقيّة إليه، وأخبر بذلك أبو جعفر بن الرَّقّيّ العلويّ النقيب بالموصل[3].

وفيها قتل قِرواش كاتبَهُ أبا الفتح بن المفرّج[4] صبراً.

[الوفيات]

وفيها تُوُفّي عبد[5] بن أحمد أبو ذرّ الهرويّ الحافظ، أقام بمكّة، وتزوّج من

---

(١) في الأوربية: «قائماً».

(٢) تاريخ حلب للعظيمي ٣٣٥، وتتحدّث مصادر الدروز عن شخص اسمه «مسعود بن سكينة الكردي» ويُعرف بـ«سُكَين» و تقول إنه خرج على تعاليم الدعوة التوحيدية ونشر الإباحية في وادي التيم شرقي صيدا، وتجعل وفاته سنة ٤٢٧ هـ. (انظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين - ص ٨٦، ٨٧) وفيه مراجع أخرى.

(٣) المنتظم ٨/ ١١٤ (١٥/ ٢٨٦)، تاريخ الزمان لابن العبري ٩١، الدرّة المضيّة ٣٥٤، تاريخ الإسلام (٤٢١ - ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢٥، ٣٢٦، العبر ٣/ ١٨٠، دول الإسلام ١/ ٢٥٦، مرآة الجنان ٢/ ٥٤، البداية والنهاية ١٢/ ٥٠، تاريخ الخميس ٢/ ٣٩٩، شذرات الذهب ٣/ ٢٥٣، ٢٥٤.

(٤) في الأوربية: «المفوج».

(٥) في طبعة صادر ٩/ ٥١٤ «عبدالله»، وما أثبتُّه عن مصادر ترجمته الكثيرة التي حشدتها في (تاريخ الإسلام - ٤٢١ - ٤٤٠ هـ.) ص ٤٠٤ - ٤٠٩ رقم ١٢٠.

العرب، وأقام بالسَّرَوَات. وكان يحجّ كلّ سنة يحدّث في الموسم، ويعود إلى أهله، (وصحب القاضي أبا بكر الباقلاّنيّ[1].

وفيها تُوُفّي عمر بن إبراهيم[2] بن سعيد الزهريُّ من ولد سعد بن أبي وقّاص، وكان فقيهاً شافعيّاً)[3].

---

(١) في طبعة صادر ٩/ ٥١٤ «البقلاني»، والصحيح ما أثبتناه.

(٢) انظر عن (عمر بن إبراهيم) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٠٩ رقم ١٢٤ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) ما بين القوسين من الباريسية.

٤٣٥
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة

ذكر إخراج المسلمين والنصارى والغرباء من القسطنطينيّة

في هذه السنة أخرج ملك الروم الغرباء من المسلمين والنصارى وسائر الأنواع من القُسطنطينيّة.

وسبب ذلك أنّه وقع الخبر بالقُسطنطينيّة أنّ قُسطنطين قتل ابنتَي الملك المتقدّم اللّتَين قد صار المُلك فيهما الآن، فاجتمع أهل البلد وأثاروا الفتنة، وطمعوا في النهب، فأشرف عليهم قُسطنطين، وسألهم عن السبب في ذلك، فقالوا: قتلتَ الملكتَيْن، وأفسدتَ المُلْك؛ فقال: ما قتلتُهما؛ وأخرجهما حتّى رآهما الناس، فسكنوا.

ثم إنّه سأل عن سبب ذلك، فقيل له: إنّه فعْل الغرباء؛ وأشاروا بإبعادهم، وأمر فنودي أن لا يقيم أحدٌ وَرَدَ البلدَ منذ ثلاثين[١] سنة، فمن أقام بعد ثلاثة أيّام كُحل، فخرج منها أكثر من مائة ألف إنسان، ولم يبق بها أكثر من اثني عشر نفساً، ضمِنَهم الروم فتركهم[٢].

ذكر وفاة جلال الدولة وملك أبي كاليجار

في هذه السنة، في سادس شعبان، توفّي الملك جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضُد الدولة بن بُوَيْه ببغداذ[٣]، وكان مرضه ورماً في كبِده، وبقي عدّة أيّام مريضاً وتُوفّي، وكان مولده سنة ثلاثٍ وثمانين وثلاثمائة، وملكه ببغداذ ستّ عشرة

---

(١) في (أ): «ثلاث».
(٢) الخبر باختصار شديد جدّاً في: تاريخ حلب للعظيمي ٣٣٦.
(٣) من (أ).

سنة وأحد عشر شهراً، ودُفن بداره، ومن علم سيرته، وضَعفَه، واستيلاءَ الجُنْد والنّوّاب عليه، ودوامَ مُلكه إلى هذه الغاية، علِم أنّ الله على كلّ شيء قدير يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممّن يشاء.

وكان يزور الصّالحين، ويقرب منهم، وزار مرّة مشهدَيْ عليّ والحسين، عليهما السّلام، وكان يمشي حافياً قبل أن يصل إلى كلّ مشهدٍ منهما، نحو فرسخ، يفعل ذلك تديّناً[1].

ولمّا تُوفّي انتقل الوزير كمال المُلْك بن عبد الرحيم وأصحاب الملك الأكابر إلى باب المراتب، وحريم دار الخلافة، خوفاً من نهب الأتراك والعامّة دورهم، فاجتمع قوّاد العسكر تحت دار المملكة، ومنعوا الناس من نهبها.

ولمّا توفّي كان ولده الأكبر الملك العزيز أبو منصور بواسط، على عادته، فكاتبه الأجناد بالطاعة[2]، وشرطوا عليه تعجيل ما جرتْ به العادة من حقّ البَيعة، فتردّدت المراسلات بينهم في مقداره (وتأخيره لفقده)[3].

وبلغ موته إلى الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة، فكاتب القوّادَ والأجنادَ، ورغّبهم في المال وكثرته وتعجيله، فمالوا إليه وعدلوا[4] عن[5] الملك العزيز.

وأمّا[6] الملك العزيز فإنّه[7] أصعد (إلى بغداذ لمّا)[8] قرُب الملك أبو كاليجار منها، على ما نذكره سنة ستّ وثلاثين [وأربعمائة]، عازماً على قصد بغداذ ومعه

---

(١) انظر عن وفاة جلال الدولة في: تاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ص ٣٣٦، و(تحقيق سويم) ص ٤، والمنتظم ٨/ ١١٧ (١٥/ ٢٨٩، ٢٩٠)، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٨٤، ونهاية الأرب ٢٦/ ٢٥٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٦٧، والعبر ٢/ ١٨٢، وتاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢٧، ٣٢٨، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٤٩.

(٢) من (أ)، وفي تاريخ الفارقي ١٣٣ توفي سنة ٤٢٢ هـ. وهو غلط.

(٣) من الباريسية.

(٤) في (أ): «وولوا».

(٥) في الأوربية: «من».

(٦) في (أ): «ثم إن».

(٧) من الباريسية.

(٨) في (أ): «من مواضع مما».

عسكره، فلمّا بلغ النُّعمانيّة غدر به عسكره ورجعوا إلى واسط، وخطبوا لأبي كاليجار، فلمّا رأى ذلك مضى إلى نور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد، لأنّه بلغه مَيل جُند بغداذ إلى أبي كاليجار، وسار من عند دُبَيْس إلى قِرواش بن المقلّد، فاجتمع به بقرية خُصّة[1] من أعمال بغداذ، وسار معه إلى الموصل، ثم فارقه وقصد أبا الشوك لأنّه حَمْوُه، فلمّا وصل إلى أبي الشوك غدر به، وألزمه بطلاق ابنته، ففعل، وسار عنه إلى إبراهيم يَنّال أخي طُغْرُلْبَك، وتنقّلت به الأحوال، حتّى قدِم بغداذ في نفرٍ يسير عازماً على استمالة العسكر وأخْذ الملك، فثار به أصحاب الملك أبي كاليجار، فقُتل بعض مَنْ عنده، وسار هو متخفيّاً، فقصد نصر الدولة بن مروان فتوفي عنده بميافارقين[2]، وحُمل إلى بغداذ، ودُفن عند أبيه بمقابر قريش، في مشهد باب التبن سنة إحدى وأربعين [وأربعمائة].

وقد ذكر الشيخ أبو الفَرَج بن الجوزيّ أنّه آخر ملوك بني بُوَيْه، وليس كذلك، فإنّه ملك بعده أبو كاليجار، ثم الملك الرحيم بن أبي كاليجار، وهو آخرهم على ما تراه[3].

وأمّا الملك أبو كاليجار فلم تزل الرسل تتردّد بينه وبين عسكر بغداذ، حتّى استقرّ الأمر له، وحلفوا، وخطبوا له ببغداذ في صفر من سنة ستّ وثلاثين وأربعمائة، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر حال أبي الفتح مودود بن مسعود ابن محمود بن سبكتكين

في هذه السنة سيّر الملك أبو الفتح مودود بن مسعود بن سبكتكين عسكراً مع حاجبٍ له إلى نواحي خُراسان، فأرسل إليهم داود أخو طُغْرُلْبك، وهو صاحب خُراسان، ولدَهُ ألْب أرسلان في عسكر، فالتقوا واقتتلوا فكان الظَّفَر للملك ألْب أرسلان، وعاد عسكر غَزْنة منهزماً.

وفيها أيضاً، في صفر، سار جمع من الغُزّ إلى نواحي بُست، وفعلوا ما عُرف منهم من النهب والشرّ[4]، فسيّر إليهم أبو الفتح مودود عسكراً، فالتقوا بولاية بُست،

---

(١) في (أ): «خصى».
(٢) تاريخ الفارقي ١٣٣، ١٣٤.
(٣) انظر المنتظم ٨/ ١٥١ (١٥/ ٣٣١).
(٤) من (أ).

واقتتلوا قتالاً شديداً انهزم الغُزُّ فيه، وظفر عسكر مودود، وأكثروا فيهم القتل والأسر.

ذكر ملك مودود عدّة حصون من بلد الهند

في هذه السنة اجتمع ثلاثة ملوك من ملوك الهند، وقصدوا لَهَاوُور وحصروها، فجمع مقدّم العساكر الإسلاميّة بتلك الديار مَن عنده منهم، وأرسل إلى صاحبه مودود يستنجده، فسيّر إليه العساكر.

فاتّفق أنّ بعض أولئك الملوك[1] فارقهم وعاد إلى طاعة مودود، فرحل الملكان الآخران إلى بلادهما، فسارت العساكر الإسلاميّة إلى أحدهما، ويُعرف بدوبال هرباته[2]، فانهزم منهم، وصعِد إلى قلعةٍ له منيعة هو وعساكره، فاحتموا بها، وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل، وحصرهم المسلمون وضيّقوا عليهم، وأكثروا القتل فيهم، فطلب الهنود الأمان على تسليم الحصين، فامتنع المسلمون من إجابتهم إلى ذلك إلاّ بعد أن يضيفوا إليه باقي حصون ذلك الملك[3] الذي لهم، فحملهم الخوف وعدم الأقوات على إجابتهم إلى ما طلبوا وتسلّموا[4] الجميع، وغنم المسلمون الأموال، وأطلقوا ما في الحصون من أسرى المسلمين، وكانوا نحو خمسة آلاف نفر.

فلمّا فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثاني، واسمه تابت[5]، بالريّ[6]، فتقدّم إليهم، ولقيهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت الهنود، وأجلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل، وجُرح[7] وأُسر ضعفاهم، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ودوابّهم. فلمّا رأى باقي الملوك من الهند ما لقي هؤلاء أذعنوا بالطاعة، وحملوا الأموال، وطلبوا الأمان والإقرار على بلادهم، فأُجيبوا إلى ذلك.

---

(١) من (أ).

(٢) في (أ): «بدوبالي هرب به». وفي نسخة بودليان رقم ٧٣ «هربابة»، ورقم ٦٦١ «هريابه».

(٣) في (أ): «المكان».

(٤) في (أ): «وسلموا».

(٥) في الباريسية: «بابت»، وفي نسخة بودليان رقم ٧٣ «بالرى بانت»، ورقم ٦٦١ «مانت بالري».

(٦) في (أ): «بالذي».

(٧) من الباريسية.

ذكر الخُلْف بين الملك أبي كاليجار
وفرامرز بن علاء الدولة

في هذه السنة نكث الأمير أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة بن كاكوَيْه، صاحب أصبهان، العهد الذي بينه وبين الملك أبي كاليجار، وسيّر عسكراً إلى نواحي كرْمان، فملكوا منها حصنَيْن وغنموا ما فيهما.

فأرسل الملك أبو كاليجار إليه في إعادتهما وإزالة الإعتراض عنهما، فلم يفعل، فجهّز عسكراً وسيره إلى أبرقوه، فحصرها وملكها، فانزعج فرامرز لذلك، وجهز عسكراً كثيراً وسيّره إليهم، فسمع الملك أبو كاليجار بذلك، فسيّر عسكراً ثانياً مدداً لعسكره الأوّل، والتقى العسكران فاقتتلوا وصبروا، ثمّ انهزم عسكر أصبهان، وأُسر مقدّمهم الأمير إسحاق بن يَنّال، واستردّ نوّاب أبي كاليجار ما كانوا أخذوه من كَرْمان.

ذكر أخبار التُّرْك بما وراء النهر

في هذه السنة، في صفر، أسلم من كُفّار التُّرْك الذين كانوا يطرقون بلاد الإسلام بنواحي بَلاسَاغُون وكاشْغَر[١]، ويغيرون ويعيثون، عشرة آلاف خركاة، وضحّوا يوم عيد الأضحى بعشرين[٢] ألف رأس غنم، وكفى الله المسلمين شرّهم.

وكانوا يَصيفون بنواحي بُلغار، ويَشتون بنواحي بَلاسَاغون، فلمّا سلِموا تفرّقوا في البلاد، فكان في كلّ ناحيةٍ ألف خركاة، وأقلّ وأكثر لأمْنهم، فإنّهم إنما كانوا يجتمعون ليحمي بعضهم بعضاً من المسلمين، وبقي من الأتراك من لم يسلم تَتَر وخَطا، وهم بنواحي الصّين.

وكان صاحب بَلاسَاغون، وبلاد التُّرْك، شرف الدولة، وفيه دين، وقد أقنع من إخواته وأقاربه بالطاعة، وقسم البلاد بينهم، فأعطى (أخاه أصلان تكين كثيراً من بلاد التُرك، وأعطى أخاه بغراخان طِرَازَ وأسبيجاب، وأعطى عمّه طغاخان فَرغانة بأسرها)[٣]، وأعطى ابن عليّ تكين بخارى وسَمَرْقَنْد وغيرهما، وقنع هو ببَلاسَاغون وكاشْغَر.

---

(١) في الأوربية: «وكاشغار».
(٢) في (أ): «نحو».
(٣) من الباريسية.

ذكر أخبار الروم والقسطنطينيّة

في هذه السنة، في صفر أيضاً، ورد إلى القُسطنطينيّة عددٌ كثير من الروس في البحر، وراسلوا قُسطنطينَ ملك الروم بما لم تجر به عادتهم، فاجتمعت الروم على حربهم، وكان بعضهم قد فارق المراكب إلى البرّ، وبعضهم فيها، فألقى الروم في مراكبهم النار، فلم يهتدوا إلى إطفائها، فهلك كثير منهم بالحرق والغَرق، وأمّا الذين على البرّ فقاتلوا، وأبلَوا، وصبروا، ثم انهزموا، فلم يكن لهم ملجأ، فمن استسلم أوّلاً استرق وسلِم، ومن امتنع، حتّى أُخذ قهراً، قطع الروم أيْمانَهم، وطيف بهم في البلد، ولم يسلم منهم إلاّ اليسير مع ابن ملك الروسية، وكُفي الروم شرّهم.

ذكر طاعة المعزّ بإفريقية للقائم بأمر الله

في هذه السنة أظهر المعزُّ ببلاد إفريقية الدعاء للدولة العبّاسيّة، وخطب للإمام القائم بأمر الله، أمير المؤمنين، ووردت عليه الخِلع والتقليد ببلاد إفريقية وجميع ما يفتحه، وفي أوّل الكتاب الذي مع الرسل: «من عبدالله ووليّه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الملك الأوحد، ثقة الإسلام، وشرف الإمام، وعمدة الأنام ناصر دين الله، قاهر أعداء الله، ومُؤيّد سُنّة رسول الله ﷺ، أبي تميم المعزّ بن باديس بن المنصور وليّ أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب، وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين»؛ وهو طويل.

وأُرسل إليه سيف وفرس وأعلام على طريق القُسطنطينيّة. فوصل ذلك يوم الجمعة، فدخل به إلى الجامع، والخطب ابن الفاكاة[1] على المنبر يخطب الخطبة الثانية، فدخلت الأعلام[2]، فقال: هذا لواء الحمد يجمعكم. وهذا معزُّ الدين يسمعكم. وأستغفر الله لي ولكم. وقُطعت الخطبة للعلويّين من ذلك الوقت، وأُحرقت أعلامهم[3].

---

(١) في نسخة بودليان رقم ٧٣ «الفكاه»، ورقم ٦٦١ «الفاكه»، وفي (أ): «الفاكاه».

(٢) في الباريسية: «جمعة الأعلام فنصب الأعلام».

(٣) نهاية الأرب ٢٤/٢٠٩، المؤنس ٧٢، البيان المغرب ١/٣٩٧ (سنة ٤٣٣ هـ.)، المختصر في أخبار البشر ٢/١٦٧، تاريخ ابن الوردي ١/٣٤٩.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة جرت حرب بين ابن الهيثم، صاحب البَطِيحة، وبين الأجناد من الغُزّ والدَّيلم، فأحرق الجامدة وغيرها، وخطب الجُند للملك أبي كاليجار.

وفيها أرسل الخليفة القائم بأمر الله اقضى القضاة أبا الحسن عليَّ بن محمّد بن حبيب الماورديَّ، الفقيه الشافعيَّ، إلى السلطان طُغْرُلْبك قبل وفاة جلال الدولة، وأمره أن يقرّر الصُّلح بين طُغْرُلْبك والملك جلال الدولة وأبي كاليجار، فسار إليه وهو بجُرجان، فلقَيه طُغْرُلْبك على أربعة فراسخ إجلالاً لرسالة الخليفة، وعاد الماورديُّ سنة ستٍّ وثلاثين [وأربعمائة]، وأخبر عن طاعة طُغْرُلْبك للخليفة، وتعظيمه لأوامره ووقوفه عنده[١].

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي عبيد[٢] الله بن أحمد بن عثمان بن الفَرَج بن الأزْهر أبو القاسم (ابن أبي الفتح)[٣] الأزهريُّ (الصَّيْرفيُّ المعروف بابن السوادي[٤] شيخ الخطباء أبي بكر)[٥]، وكان إماماً في الحديث، ومن تلامذته الخطيب البغداذيُّ.

---

(١) المنتظم ٨/١١٦ (١٥/٢٨٩)، العبر ٣/١٨٢، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٢٧، البداية والنهاية ١٢/٥١، شذرات الذهب ٣/٢٥٤.

(٢) في طبعة صادر ٩/٥٢٣ «عبد»، والتصويب من مصادر ترجمته التي ذكرتها في (تاريخ الإسلام ٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤١٨ رقم ١٤٧، ومن نسخة بودليان.

(٣) إضافة من (أ).

(٤) في طبعة صادر ٩/٥٢٣ «السواري» بالراء، والتصويب من المصادر، ومن نسخة بودليان. قال الخطيب: ذكر لي أن جدّه عثمان من أهل إسكاف، قدم بغداد واستوطنها، فعُرف بالسوادي. (تاريخ غداد ١٠/٣٨٥).

(٥) ما بين القوسين من الباريسية.

٤٣٦
ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة

ذكر قتل الإسماعيليّة بما وراء النهر

في هذه السنة أوقع بغراخان، صاحب ما وراء النهر، بجمعٍ كثيرٍ من الإسماعيليّة.

وكان سبب ذلك أنّ نفراً منهم قصدوا ما وراء النهر، ودعوا إلى طاعة المستنصر بالله العلويّ، صاحب مصر، فتبِعهم جمْعٌ كثير، وأظهروا مذاهبَ[1] أنكرها أهل تلك البلاد.

وسمع ملكها بغراخان خبرهم. وأراد الإيقاع بهم، فخاف أن يسلم منه بعض مَن أجابهم من أهل تلك البلاد، فأظهر لبعضهم أنّه يميل إليهم، ويريد الدخول في مذاهبهم، وأعلمهم ذلك، وأحضرهم مجالسه، ولم يزل حتى علم جميع مَن أجابهم إلى مقالتهم، فحينئذ قتل من بحضرته منهم، وكتب إلى سائر البلاد بقتل من فيها، ففُعل بهم ما أمر، وسلمت تلك البلاد منهم.

ذكر الخطبة للملك أبي كاليجار وإصعاده إلى بغداذ

قد ذكرنا لمّا تُوُفّي الملك جلال الدولة ما كان من مراسلة الجُند الملك أبا كاليجار والخطبة له. فلمّا استقرّت القواعد بينه وبينهم أرسل أموالاً فُرّقت على الجُند ببغداذ، وعلى أولادهم، وأرسل عشرة آلاف دينار للخليفة ومعها هدايا كثيرة، فخُطب له ببغداذ في صفر، وخطَب له أيضاً أبو الشوك في بلاده، ودُبيس بن مَزْيد ببلاده،

---

(١) في الأوربية: «المذاهب».

ونصر الدولة بن مروان بديار بكر، ولقّبه الخليفة محيي الدين، وسار إلى بغداذ في مائة فارس من أصحابه لئلّا تخافه الأتراك.

فلمّا وصل إلى النُّعمانيّة لقِيه دُبيس بن مَزْيد، ومضى إلى زيارة المشهدَيْن بالكوفة وكَرْبلاء[1]، ودخل إلى بغداذ في شهر رمضان ومعه وزيره ذو السعادات أبو الفَرج محمّد بن جعفر بن محمّد بن فسانجس، ووعده الخليفة القائم بأمر الله أن يستقبله، فاستعفى من ذلك، وأخرج عميد الدولة (أبا سعد بن عبد الرحيم وأخاه كمال الملك وزيرَيْ جلال الدولة)[2] من بغداذ، فمضى أبو سعد إلى تَكريت، وزُيّنت بغداذ لقدومه، وأمر فخُلع على أصحاب الجيوش، وهم: البساسيريُّ[3]، والنشاووريُّ، والهُمام أبو اللّقاء، وجرى من وُلاة العرض تقديمٌ لبعض الجُند وتأخير، فشَغب بعضهم، وقتلوا واحداً من وُلاة العرض بمرأى من الملك أبي كاليجار، فنزل في سُميريّة بكِنكِوَر، وانحدر خوفاً من انخراق[4] الهيبة، وأصعد بفم الصِّلْح[5].

[وفاة الجرجرائيّ]

وفي رمضان منها توفّي أبو القاسم عليُّ بن أحمد الجرجرائيُّ[6] وزير الظاهر والمستنصر الخليفتَيْن، وكان فيه كفاية، وشهامة، وأمانة، وصلّى عليه المستنصر بالله.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة نزل الأمير أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة من كِنكِوَرَ وقصد هَمَذان فملكها، وأزاح عنها نوّاب السلطان طُغْرُلبك، وخطب للملك أبي كاليجار، وصار في طاعته.

---

(١) من (أ).

(٢) ما بين القوسين من (أ).

(٣) في الباريسية: «الفساسيري».

(٤) في الأوربية: «انخراف».

(٥) المنتظم ٨/ ١١٩ (١٥/ ٢٩٢)، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢٩، دول الإسلام ١/ ٢٥٨، مآثر الإنافة ١/ ٣٣٧.

(٦) تاريخ حلب (زعرور) ٣٣٧، (سويم) ٥، المنتظم ٨/ ١١٩ (١٥/ ٢٩٣)، المنتقى من أخبار مصر لابن ميسّر ٤، الإشارة إلى من نال الوزارة ٣٧، ٣٨، نهاية الأرب ٢٨/ ٢١٥، ٢١٦، الدرّة المضيّة ٣٥٦، تاريخ الإسلام (٤٢١/ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢٩، البداية والنهاية ١٢/ ٥٢، اتعاظ الحنفا ٢/ ١٩١.

وفيها أمر الملك أبو كاليجار[1] ببناء سور مدينة شِيراز، فبُني وأُحكم بناؤه، وكان دوره اثني عشر ألف ذراع، وعرضه ثمانية أذرع، وله أحد عشر باباً، وفُرغ منه سنة أربعين وأربعمائة.

وفيها نُقل تابوت جلال الدولة من داره إلى مشهد باب التبن، إلى تُربة له هناك[2].

وفيها استوزر السلطان طُغْرُلْبَك وزيرَه أبا القاسم عليَّ بن عبدالله الجُوَيْنيَّ، وهو أوّل وزيرٍ وَزَرَ له، ثم وَزَرَ له بعده رئيس الرؤساء أبو عبدالله الحسين بن عليّ بن ميكائيل، ثم وَزَرَ له بعده نظام المُلْك أبو محمّد الحسن[3] بن محمّد الدِّهِستانيُّ، وهو أوّل من لُقّب نظام المُلْك، ثم وَزَرَ له بعده عميد المُلْك الكُندريُّ، وهو أشهرهم، وإنّما اشتهر لأنّ طُغْرُلْبك، في أيّامه، عظُمَت دولته، ووصل إلى العراق، وخُطب له بالسلطنة، وسيرد في أخباره ما فيه كفاية، فلا حاجة إلى ذكرها هاهنا.

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي الشريف المرتضى[4] أبو القاسم عليّ أخو الرضيّ في آخر[5] ربيع الأوّل، ومولده سنة خمسٍ وخمسين وثلاثمائة، ووليَ نقابَة العلويّين بعده أبو أحمد عدنان ابن أخيه الرضيّ.

وفيها توفّي القاضي أبو عبدالله (الحسين بن عليّ بن محمّد)[6] الصَّيمريُّ[7]، وهو شيخ أصحاب أبي حنيفة في زمانه، ومن جملة تلامذته القاضي أبو عبدالله

---

(١) من (أ).

(٢) المنتظم ٨/١١٨ (١٥/٢٩٢)، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢٩.

(٣) في (أ): «الحسين».

(٤) انظر عن (الشريف المرتضى) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٣٣، ٤٣٤ رقم ١٧٧ وقد حشدت فيه عشرات المصادر لترجمته.

(٥) من (أ).

(٦) من الباريسية.

(٧) انظر عن (الصَّيْمري) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٢٥، ٤٢٦ رقم ١٦١ وفيه حشدت مصادر ترجمته. وهو منسوب إلى «الصَّيمر» نهر من أنهار البصرة. (الأنساب ٨/ ١٢٧).

الدّامَغانيُّ، ومولده سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، ووليَ بعده قضاء الكرْخ القاضي أبو الطيّب الطبريُّ مُضافاً إلى ما كان يتولاّه من القضاء بباب الطّاق.

وفيها توفّي القاضي أبو الحسن عبد الوّهاب بن منصور[1] بن المشتري قاضي خُوزستان وفارس، وكان شافعيَّ المذهب.

وفيها أيضاً توفّي أبو الحسين محمّد بن عليّ البصْريُّ[2]، المتكلّم المعتزليُّ، صاحب التصانيف المشهورة.

---

(١) انظر عن (عبد الوهاب بن منصور) في: المنتظم ٨/١٢٠ رقم ١٦٢ (١٥/٢٩٣، ٢٩٤ رقم ٣٢٥٦)، وتاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٣٠، رقم ١٧١ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/٢٨٦.

(٢) انظر عن (محمد بن علي البصري) في: تاريخ الاسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٣٩، ٤٤٠ رقم ١٨٦ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٤٣٧
ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة

ذكر وصول إبراهيم يَنّال إلى هَمذان وبلد الجبل

في هذه السنة أمر السلطان طُغْرُلْبك أخاه إبراهيم يَنّال بالخروج إلى بلد الجبل وملكها، فسار إليها من كَرمان، وقصد هَمذان، وبها كرشاسف بن علاء الدولة، ففارقها خوفاً، ودخلها يَنّال فملكها، والتحق كرشاسف بالأكراد الجوزقان.

وكان أبو الشوك حينئذ بالدِّينَور، فسار عنها إلى قَرميسِين خوفاً وإشفاقاً من يَنّال، فقوي طمع ينّال حينئذٍ في البلاد، وسار إلى الدِّينَور فملكها ورتّب أمورها، وسار منها يطلب قَرميسِين.

(فلمّا سمع أبو الشوك به سار إلى حُلوان وترك بقَرمِيسين)[1] من في عسكره من الدّيلم، والأكراد الشاذنجان، ليمنعوها ويحفظوها، ووافاهم يَنّال جريدةً، فقاتلوه، فدفعوه عنها، فانصرف عنهم وعاد بخركاهاته وحِلَله، فقاتلوه، فضعفوا عنه وعجزوا عن منعه، فملك البلد في رجب عَنوةً، وقتل من العساكر جماعة كثيرة، وأخذ أموال مَن سلم من القتل، وسلاحهم، وطردهم، ولحِقوا بأبي الشوك، ونهب البلد وقتل وسبى[2] كثيراً من أهله[3].

ولمّا سمع أبو الشوك ذلك سيّر أهله وأمواله وسلاحه من حُلوان إلى قلعة السِّيروان، وأقام جريدةً في عسكره، ثم إنّ ينّال سار إلى الصيَّمْرة في شعبان، فملكها ونهبها، وأوقع بالأكراد المجاورين لها من الجوزقان، فانهزموا، وكان كرشاسف بن

---

(١) من (أ).

(٢) في الأوربية: «وسبا».

(٣) المنتظم ٨/ ٣٢٨ (١٥/ ٣٠٣).

علاء الدولة نازلاً عندهم، فسار هو وهم إلى بلد شهاب الدولة أبي الفوارس منصور بن الحسين.

ثمّ إنّ إبراهيم يَنّال سار إلى حُلوان، وقد فارقها أبو الشوك، ولحِق بقلعة السِّيروان، فوصل إليها[1] إبراهيم آخر شعبان، وقد جلا أهلها عنها، وتفرّقوا في البلاد، فنهبها وأحرقها، وأحرق دار أبي الشوك، وانصرف بعد أن اجتاحها ودرسها.

وتوجّه طائفة من الغزّ إلى خَانقين في أثر جماعة من أهل حُلوان كانوا ساروا بأهليهم وأولادهم وأموالهم، فأدركوهم وظفروا بهم وغنموا ما معهم، وانتشر الغُزّ في تلك النواحي، فبلغوا مَايَدَشْتَ وما يليها فنهبوها وأغاروا عليها.

فلمّا سمع الملك أبو كاليجار هذه الأخبار أزعجتْه وأقلقتْه، وكان بخُوزستان، فعزم على المسير، ودفْع يَنّال ومَن معه من الغُزّ عن البلاد، فأمر عساكره بالتجهّز للسفر اليهم، فعجزوا عن الحركة لكثرة ما مات من دوابّهم، فلمّا تحقّق ذلك سار نحو بلاد فارس، فحمل العسكر أثقالهم على الحمير..

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في المحرّم، خُطب للملك أبي كاليجار بأصبهان وأعمالها وعاد الأمير أبو منصور بن علاء الدولة إلى طاعته.

وكان سبب ذلك أنّه لمّا عصى على الملك أبي كاليجار، وقصد كَرمان، على ما ذكرناه، والتجأ إلى طاعة طُغْرُلْبك، لم يبلغ ما كان يؤمّله من طُغْرُلْبك، فلمّا عاد طُغْرُلْبك إلى خُراسان خاف أبو منصور من الملك أبي كاليجار، فراسله في العَود إلى طاعته، فأجابه إلى ذلك واصطلحا.

وفيها اصطلح أبو الشوك وأخوه مُهلهِل. وكانا متقاطعين من حين أسر مهلهِل أبا الفتح بن أبي الشوك، وموت أبي الفتح في سجنه. فلمّا كان الآن وخافا من الغُزّ تراسلا في الصلح، واعتذر مُهلهِل، وأرسل ولدَهُ أبا الغنائم إلى أبي الشوك، وحلف له أنّ أبا الفتح توفّي حتف أنفه من غير قتْل، وقال: هذا ولدي تقتله عِوَضه؛ فرضي أبو الشوك، وأحسن إلى أبي الغنائم، وردّه إلى أبيه، واصطلحا واتّفقا.

---

(١) في (أ): «وأخذها الملك».

وفيها، في جُمادى الأولى، خلع الخليفة على أبي القاسم عليّ بن الحسن بن المسلمة، واستوزره، ولقّبه رئيس الرؤساء، وهو ابتداء حاله[١].

وكان السبب في ذلك أنّ ذا السعادات بن فسانجس، وزير الملك أبي كاليجار، كان يسيء الرأي في عميد الرؤساء، وزير الخليفة، فطلب من الخليفة أن يعزله، فعزله واستوزر رئيس الرؤساء نيابةً، ثمّ خلع عليه وجلس في الدَّسْت.

وفيها، في شعبان، سار سُرخاب بن محمّد بن عنّاز أخو أبي الشوك إلى البَنْدَنِيجَين وبها سعْدي بن أبي الشوك، ففارقها سعدي ولحِق بأبيه، ونهب سُرخاب بعضها، وكان أبو الشوك قد أخذ بلد سرخاب ما عدا دَزدِيلُوية[٢] وهما متباينان لذلك.

وفيها، في آخر رمضان، توفّي أبو الشوك فارس بن محمّد بن عنّاز بقلعة السِّيروان، وكان مرض لمّا سار إلى السِّيروان (من حُلوان، ولمّا توفّي غدر الأكراد بابنه)[٣] سعْدي، وصاروا مع عمّه مُهلهِل، فعند ذلك مضى سعْدي إلى إبراهيم يَنّال، وأتى بالغُزّ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها قُتل عيسى بن موسى الهذبانيُّ صاحب إربل، وكان خرج إلى الصيد، فقتله ابنا أخٍ له، وسارا إلى قلعة إربل فملكاها؛ وكان سلّار بن موسى، أخو المقتول، نازلاً على قِرواش بن المقلّد، صاحب الموصل، لنفرةٍ كانت بينه وبين أخيه، فلمّا قُتل سار قِرواش مع السلّار إلى إربل، فملكها وسلّمها إلى السلّار، وعاد قِرواش إلى الموصل.

وفيها كانت ببغداذ فتنة بين أهل الكرْخ وباب البصرة، وقتال اشتدّ قُتل فيه جماعة[٤].

(وفيها وقع البلاء والوباء في الخيل، فهلك من عسكر الملك أبي كاليجار اثنا[٥]

---

(١) المنتظم ٨/ ١٢٧ (١٥/ ٣٠٢).
(٢) في (أ): «دردي لوني»، وفي نسخة بودليان «درديلويه».
(٣) في (أ): «هو ومن معه من العساكر والأجناد والقواد ومع أخيه».
(٤) المنتظم ٨/ ١٢٧ (١٥/ ٣٠٢)، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣، البداية والنهاية ١٢/ ٥٤.
(٥) في الأوربية: «اثني».

عشر ألف فرس، وعمّ ذلك البلاد[1])[2].

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي عليُّ بن محمّد بن نصر[3] أبو الحسن الكاتب بواسط، صاحب الرسائل المشهورة.

---

(1) المنتظم ١٢٨/٨ (١٥/ ٣٠٢، ٣٠٣)، المختصر في أخبار البشر ١٦٨/٢، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣١، تاريخ ابن الوردي ٣٤٩/١، البداية والنهاية ١٢/ ٥٤.

(2) ما بين القوسين من الباريسية.

(3) المنتظم ١٢٩/٨ (١٥/ ٣٠٤)، البداية والنهاية ١٢/ ٥٤.

٤٣٨
ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

ذكر ملك مُهَلْهل قَرمِيسين والدِّينور

في هذه السنة ملك مُهَلْهِل بن محمّد بن عنّاز مدينة قَرمِيسِين والدِّينَوَر.

وسبب ذلك أنّ إبراهيم يَنّال كان قد استعمل عند عَوده من حُلوان على قَرميسِين بدرَ بن طاهر بن هلال، فلمّا ملك مُهلهِل، بعد موت أخيه أبي الشوك، سار إلى مَايَدَشْتَ، ونزل (بها، ثم توجّه نحو قَرمِيسِين، فانصرف عنها بدر، فملكها)[1] مُهلهِل، وسيّر[2] ابنَهُ محمداً إلى الدِّينَوَر، وبها عساكر يَنّال، فاقتتلوا، فقُتل بَين الفريقَيْن جماعة، وانهزم أصحاب يَنّال، وملك محمّد البلد.

ذكر اتّصال سعْدي بن أبي الشوك بإبراهيم يَنّال وما كان منه

في هذه السنة، في شهر ربيع الأوّل، فارق سعْدي بن أبي الشوك عمَّهُ مُهلهِلاً، ولحِق بإبراهيم يَنّال فصار معه.

وسبب ذلك أنّ عمّه تزوّج أمّه وأهمل جانبه واحتقره، وكذلك أيضاً قصّر في مراعاة الأكراد الشاذنجان، فراسل سعْدي إبراهيمَ يَنّال في اللّحاق به، فأذِن له في ذلك، ووعده أن يملكه ما كان لأبيه، فسار إليه في جماعة من الأكراد الشاذنجان، فقوي بهم، فأكرمه يَنّال، وضمّ إليه جمعاً من الغُزّ وسيّره إلى حُلوان فملكها،

---

(١) في (أ): «هو وأصحابه من الجنود والقواد والعساكر وأما».

(٢) في (أ): «سير».

(وخطب فيها لإبراهيم يَنّال في شهر ربيع الأوّل، وأقام بها أيّاماً، ورجع إلى مَايَدَشْتَ، فسار عمّه مُهلهِل إلى حُلوان فملكها)[1] وقطع منها خطبة يَنّال.

فلمّا سمع سعْدي بذلك سار إلى حُلوان، ففارقها عمّه مُهلهِل إلى ناحية بَلّوطة، وملك سعْدي حُلوان وسار إلى عمّه سُرخاب فكبَسه ونهب ما كان معه، وسيّر جمعاً إلى البَنْدَنِيجَيْن، فاستولوا عليها وقبضوا على نائب سُرخاب بها، ونهبوا بعضها، وانهزم سُرخاب، فصعد إلى قلعة دَزْدِيلوَية[2]، ثمّ عاد سعْدي إلى قَرمِيسِين، فسيّر عمّه مُهلهل ابنَه بدراً إلى حُلوان فملكها، فجمع سعْدي وأكثر وعاد إلى حُلوان، ففارقها من كان بها من أصحاب عمّه إلاّ من كان بالقلعة، وملكها سعدي، وكان قد صحِبه كثيرٌ من الغُزّ، فسار بهم منها إلى عمّه مُهلهِل، وترك بها من يحفظها، فلما علم عمه بقربه منه سار بين يديه إلى قلعة تيرانشاه بقرب شهرزور، فاحتمى بها، وملك الغُزُّ كثيراً من النواحي والمواشي، وغنموا كثيراً من الأموال والدوابّ.

فلمّا رأى سعدي تحصُّنَ عمّه منه خاف على مَن خلّفه بحُلوان فعاد عازماً على محاصرة القلعة، فمضى[3] وحصرها، وقاتله من بها من أصحاب عمّه، ونهب الغُزُّ حُلوان، وفتكوا فيها وافتضّوا الأبكار، وأحرقوا المساكن، وتفرّق الناس، وفعلوا في تلك النواحي جميعها أقبح فعل.

ولمّا سمع أصحاب الملك أبي كاليجار ووزيره هذه الأخبار ندبوا العساكر إلى الخروج إلى مُهلهِل ومساعدته على ابن أخيه، ودفْعه عن هذه الأعمال، فلم يفعلوا.

ثم إنّ سعْدي أقطع أبا الفتح بن ورّام البَنَدنِيجَيْن، واتّفقا، واجتمعا على قصد عمّه سُرخاب بن محمد بن عنّاز، وحصْره بقلعة دزدِيلوية[4]، فسارا فيمن معهما من العساكر، فلمّا قاربوا القلعة دخلوا في مَضيق هناك من غير أن يجعلوا لهم طليعة طمعاً فيه وإدلالاً بقوّتهم، وكان سُرخاب قد جعل على رأس الجبل، على فم المضيق، جمعاً من الأكراد، فلمّا دخلوا المضيق لقيهم سُرخاب، وكان قد نزل من القلعة،

---

(١) ما بين القوسين من (أ).

(٢) في نسخة بودليان، «درديلويه»، وفي (أ): «دردلويه».

(٣) في (أ): «فنازلها».

(٤) في (أ): «درديلويا».

فاقتتلوا، وعادوا ليخرجوا من المضيق، فتقطّرت[١] بهم خيلهم، فسقطوا عنها ورماهم الأكراد الذين على الجبل، فوهنوا وأُسر سعْدي وأبو الفتح بن ورّام وغيرهما من الرؤوس، وتفرّق الغُزُّ والأكراد من تلك النواحي، بعد أن كانوا قد توطّنوها وملكوها.

ذكر حصار طُغْرُلْبَك أصبهان

في هذه السنة حصر طُغْرُلْبَك مدينة أصبهان، وبها صاحبها أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة، فضيق عليه، ولم يظفر من البلد بطائل، ثم اصطلحوا على مال يحمله فرامرز بن علاء الدولة لطُغْرُلْبك، وخطب[٢] له بأصبهان وأعمالها[٣].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة خرج من التُرْك من بلد التُبّت خلْقٌ لا يُحصَون كثرةً، فراسلوا أرسلان خان، صاحب بلاساغون[٤]، يشكرونه على حُسن سيرته في رعيّته، ولم يكن منهم تعرُّض إلى مملكته، ولكنّهم أقاموا بها، وراسلهم ودعاهم إلى الإسلام، فلم يجيبوا، ولم ينفروا منه[٥].

وفيها تُوُفّي أبو الحسن الخَيشيُّ[٦] النَّحْويُّ. (في ذي الحجّة)[٧]، وله نيّف وتسعون[٨] سنة.

---

(١) في (أ): «فقنطرت».

(٢) في (أ): «ويخطب».

(٣) الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ١٨٨، نهاية الأرب ٢٦/٢٨٦، العبر ٣/١٨٨، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٢، دول الإسلام ١/٢٥٨، المختصر في أخبار البشر ٢/٦٥، تاريخ ابن الوردي ١/٣٤٨.

(٤) في تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٣ «بلا شاغون».

(٥) تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٢، ٣٣٣.

(٦) هو: محمد بن محمد بن عيسى، انظر عنه في: الإكمال ٣/٢٤٠، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ) ص ٤٦٥ ـ ٤٦٧ رقم ٢٤٢، وبغية الوعاة ١/٢٣٢ رقم ٤٢٠.

(٧) من (أ).

(٨) في (أ): «وسبعون».

وفيها انحدر علاء الدين أبو الغنائم ابن الوزير ذي السعادات إلى البطائح وحصرها، وبها صاحبها أبو نصر بن الهيثم، وضيّق عليه، واجتمع مع جمْعٍ كثير.

[الوَفَيَات]

وفيها، في ذي القعدة، تُوُفّي عبدالله بن يوسف أبو محمّد الجُوَيْنيُّ[1]، والد إمام الحرمَيْن أبي المعالي، وكان إماماً في الشافعيّة، تفقّه على أبي الطيّب سهل بن محمّد الصُّعْلُوكيّ، وكان عالماً بالأدب وغيره من العلوم، (وهو من بني سِنْبِسٍ، بطن من طيّء)[2].

---

(١) انظر عن (الجويني) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٦٠، ٤٦١ رقم ٢٢٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) من المجلّد الثالث من النسخة الباريسية رقم ٧٤٠، وكذا في (أ).

٤٣٩
ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة

ذكر صلح الملك أبي كاليجار والسلطان طُغْرُلْبَك[١]

في هذه السنة أرسل الملك أبو كاليجار إلى السلطان ركن الدين طُغْرُلْبَك في الصلح، فأجابه إليه، واصطلحا، وكتب طُغْرُلْبَك إلى أخيه يَنّال يأمره بالكفّ عمّا وراء ما بيده، واستقرّ الحال بينهما أن يتزوّج[٢] طُغْرُلْبَك بابنة أبي كاليجار ويتزوّج الأمير أبو منصور بن أبي كاليجار بابنة الملك داود أخي طُغْرُلْبَك، وجرى العقد في شهر ربيع الآخر من هذه السنة.

ذكر القبض على سُرْخاب أخي أبي الشوك

في هذه السنة قبض الأكراد اللُّرِيّة وجماعة من عسكر سُرخاب عليه، لأنّه أساء السيرة معهم ووترهم، فقبضوا عليه، وحملوه إلى إبراهيم يَنّال، فقلع إحدى عينَيْه، وطالبه بإطلاق سعْدي بن أبي الشوك فلم يفعل[٣].

وكان أبو العسكر بن سُرخاب قد غاضبه لمّا قبض على سعدي، واعتزله كراهيةً لفعله، فلمّا أُسر أبوه سُرخاب سار إلى القلعة وأخرج سعدي ابنَ عمّه، وفكّ قيوده، وأحسن إليه وأطلقه، وأخذ عليه بطرح ما مضى، والسعي في خلاص والده سُرخاب، فسار سعْدي، واجتمع عليه خلْقٌ كثير من الأكراد، ووصل إلى إبراهيم يَنّال، فلم يجد

---

(١) من هنا يبدأ المجلّد الرابع من النسخة الباريسية رقم ٧٤٠، و(أ).
(٢) في الأوربية: «تزوّج».
(٣) المنتظم ٨/ ١٣١ (١٥/ ٣٠٨)، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٤، البداية والنهاية ٢/ ٥٦.

عنده الذي أراد، ففارقه وعاد إلى الدَّسكرة، وكاتب الخليفة ونوّاب الملك أبي كاليجار بالعَود إلى الطاعة وأقام بها.

ذكر ملك إبراهيم يَنّال قلعة كِنْكِوَر وغيرها

في هذه السنة سار إبراهيم يَنّال إلى قلعة كِنْكِوَر، وبها عُكبر بن فارس، صاحب كرشاسف، بن علاء الدولة يحفظها له، فامتنع عُكبر بها إلى أن فنيت ذخائره، وكانت قليلة، فلمّا نفدت الذخائر عمد إلى بيوت الطعام التي في القلعة وملأها تراباً وحجارة، وسدّ أبوابها، ونثر من داخل الأبواب شيئاً من طعام، وعلى رأس التراب والحجارة كذلك أيضاً، وراسل إبراهيمَ في تسليم القلعة إليه، على أن يُؤمّنه على من بها من الرجال، وما بها من الأموال، فأرسل إليه إبراهيم يمتنع عليه من ترك المال، فأخذ عُكبر رسولَ إبراهيم فطوّفه على البيوت التي فيها الطعام، وفتح مواضع من المسدود فرآها مملوءة، فظنّها طعاماً، وقال له عُكبر: ما راسلتُ صاحبك خوفاً من المطاولة، ولا إشفاقاً من نفاد الميرة، لكنّني أحببتُ الدخول في طاعته، فإنْ بذل لي الأمان على ما طلبته لي وللأمير كرشاسف وأمواله، ولمن بالقلعة، سلمّتُ إليه، وكفيتُهُ مؤونةَ المقام.

فلمّا عاد الرسول إلى إبراهيم وأخبره أجابه إلى ما طلب، ونزل عُكبر، وتسلّمها إبراهيم، فلمّا صعِد إلى القلعة انكشفت الحيلة، وسار عُكبر بمن معه إلى قلعة سَرْمَاج، وصعِد إليها.

ولمّا ملك يَنّال كِنكِوَر عاد إلى هَمَذان، فسيّر جيشاً لأخذ قلاع سُرخاب، واستعمل عليهم نسيباً له اسمه أحمد، وسلّم إليه سُرخاباً ليفتح به قلاعه، فسار به إلى قلعة كَلكان، فامتنعتْ عليه، فساروا إلى قلعة دَزْديلوية[1] فحصروها، وامتدت طائفة منهم إلى البَندَنِيجَيْن فنهبوها في جمادى الآخرة، وفعلوا الأفاعيل القبيحة من النهب والقتل وافتراش النساء والعقوبة على تخليص الأموال، فمات منهم جماعة لشدّة الضرب.

---

(١) في (أ): «درديلويه».

وسارت طائفة منهم إلى أبي الفتح بن وَرَّام، فانصرف عنهم خوفاً منهم، وترك حلله بحالها، وقصد[1] أن يشتغلوا بنهب حلله، فيعود عليهم، فلم يعرّجوا على النهب وتبعوه، فلشدّة خوفه أن يظفروا به ويأخذوه قاتلهم، فظفر بهم، وقتل وأسر جماعة منهم، وغنِم ما معهم، ورجع الباقون، وأرسل إلى بغداذ يطلب نجدةً خوفاً من عَودهم، فلم يُنجدوه لعدم الهيبة وقلّة إمساك[2] الأمر، فعبر بنو ورَّام دجلة إلى الجانب الغربيّ.

ثمّ إن الغُزّ أسَروا إلى سعدي بن أبي الشوك في رجب، وهو نازلٌ على فرسخَيْن من باجِسْرَى، وكبسوه، فانهزم هو ومن معه لا يلوي الأخر على أخيه، ولا الوالِد على ولده، فقُتل منهم خلْقٌ كثير، وغنم الغُزّ أموالهم، ونهبوا تلك الأعمال، وكان سعدي قد أنزل مالاً من قلعة السِّيروان، فوصله تلك الليلة، فغنمه الغُزُّ إلاّ قليلاً منه سلِم معه، ونجا سعدي من الوقعة بجُرَيْعة الذقن، ونهب الغُزُّ الدَّسكرة، وباجِسْرى، والهارونيّة، وقصر سابور وجميع تلك الأعمال.

ووصل الخبر إلى بغداذ بأنّ إبراهيم يَنّال عازم على قصد بغداذ، فارتاع الناس، واجتمع الأمراء والقوّاد إلى الأمير أبي منصور ابن الملك أبي كاليجار ليجتمعوا ويسيروا إليه ويمنعوه، واتّفقوا على ذلك، فلم يخرج غير خِيَم الأمير أبي منصور والوزير ونفر يسير، وتخلّف الباقون، وهلك من أهل تلك النواحي المنهوبة خلْقٌ كثير، فمنهم مَن قُتِل، ومنهم من غرق، ومنهم من قتله البرد.

ووصل سعْدي إلى دَيالى، ثم سار منها إلى أبي الأغرّ دُبيس بن مَزيد فأقام عنده. ثمّ إنّ إبراهيم يَنّال سار إلى السِّيروان، فحصر القلعة، وضيّق على من بها، وأرسل سريّة نهبت البلاد، وانتهت إلى مكان بينه وبين تكريت عشرة فراسخ، ودخل بغداذ من أهل طريق خُراسان خلْقٌ كثير، وذكروا من حالهم ما أبكى العيون، ثم سلّمها إليه مستحفظها، بعد أن أمَّنه على نفسه وماله، وأخذ منها ينّال من بقايا ما خلّفه سعْدي شيئاً كثيراً، ولمّا فتحها استخلف فيها مقدّماً كبيراً من أصحابه يقال له

---

(١) في (أ): «على».

(٢) في (أ): «إمتثال».

سَخت كمان، وانصرف إلى حُلوان، وعاد منها إلى هَمَذان ومعه بدر ومالك ابنا مهلهل فأكرمهما.

ثمّ إنّ صاحب قلعة سَرْمَاجَ توفّي، وهو من ولد بدر بن حَسنوَيْه، وسُلّمت القلعة بعدَه إلى إبراهيم يَنّال، وسيّر إبراهيم يَنّال وزيرَهُ إلى شَهروزر فأخذها وملكها، فهرب منه مُهلهِل، فأبعد في الهرب[1].

ثمّ نزل أحمد على قلعة تِيرانشاه وحاصرها، ونقب عليها عدّة نقوب؛ ثمّ إنّ مهلهِلاً راسل أهل شَهرزور يَعِدهم بالمسير إليهم في جَمْعٍ كثير، ويأمرهم بالوثوب بمن عندهم من الغُزّ، ففعلوا وقتلوا منهم، وسمع أحمد بن طاهر، فعاد إليهم وأوقع بهم ونهبهم، وقتل كثيراً منهم.

ثم إنّ الغُزّ المقيمين بالبَندَنِجَيْن ومن معهم ساروا إلى براز الروز، وتقدّموا إلى نهر السَّلِيل، فاقتتلوا هم وأبو دُلَف القاسم بن محمّد الجاوانيُّ قتالاً شديداً ظفر فيه[2] أبو دُلَف، وانهزم الغُزُّ وأُخذ ما معهم.

وسار، في ذي الحجّة، جمْعٌ من الغُزّ إلى بلد عليّ بن القاسم الكرديّ، فأغاروا وعاثوا، فأخذ عليهم المضيق وأوقع بهم وقتل كثيراً منهم، وارتجع ما غنموه من بلده.

ذكر استيلاء أبي كاليجار على البطيحة

في هذه السنة اشتدّ الحصار من عسكر الملك أبي كاليجار على أبي نصر بن الهيثم، صاحب البطيحة، فجنح إلى الصُّلح، فاشتطّ عليه أبو الغنائم ابن الوزير ذي السعادات، ثم استأمن نفرٌ من أصحاب أبي نصر وملاّحيه إلى أبي الغنائم، وأخبروه بضَعْف أبي نصر، وعزْمه على الانتقال من مكانه، فحفظ الطُرق عليه، فلمّا كان خامس صفر جرت وقعة كبيرة بين الفريقَيْن، واشتدّ القتال، فظفر أبو الغنائم، وقُتل من البطائحيّين جماعة كثيرة، وغرق منهم سفنٌ كثيرة، وتفرّقوا في الآجام، ومضى ابن الهيثم ناجياً بنفسه في زبزب، ومُلكت داره ونُهب ما فيها.

---

(١) في الباريسية: «الطلب».

(٢) في الأوربية: «فيها».

ذكر ظهور الأصْفَر وأسره

في هذه السنة ظهر الأصفر التَّغلِبيُّ برأسِ عينٍ، وادّعى أنّه من المذكورين في الكُتُب، واستغوى قوماً بمخاريق وضعها، وجمع جمْعاً وغزا نواحي الروم، فظفر وغنم وعاد، وظهر حديثه، وقوي ناموسه، وعاودوا الغزْوَ في عددٍ أكثر من العدد الأوّل، ودخل نواحي الروم وأوغل، وغنم أضعاف ما غنمه أوّلاً، حتّى بيعت الجارية الجميلة بالثمن البَخْس.

وتسامع الناس به فقصدوه، وكثُر جَمْعُه، واشتدّت شوكته، وثَقُلت على الروم وطأتُه. فأرسل ملك الروم إلى نصر الدولة بن مروان يقول له: إنّك عالمٌ بما بيننا من الموادعة، وقد فعل هذا الرجل هذه الأفاعيل، فإن كنتَ قد رجعتَ عن المهادنة فعرّفنا لندبّر أمرنا بحسبه.

واتّفق، في ذلك الوقت، أنْ وصل رسولٌ من الأصفر إلى نصر الدولة أيضاً، يُنكر عليه ترك الغزو والميل إلى الدَّعة، فساءه ذلك أيضاً، واستدعى قوماً من بني نُمير وقال لهم: إنّ هذا الرجل قد أثار الروم علينا، ولا قدرة لنا عليهم؛ وبذل لهم بذلاً على الفتك به، فساروا إليه، فقرّبهم، ولازموه، فركب يوماً غير متحرّز، فأبعد وهم معه، فعطفوا عليه وأخذوه وحملوه إلى نصر الدولة بن مروان، فاعتقله، وتلافى أمر الروم[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة تجدّدت الهدنة بين صاحب مصر وبين الروم، وحمل كلّ واحدٍ منهما لصاحبه هدّية عظيمة.

وفيها كان ببغداذ والموصل، وسائر البلاد العراقيّة والجَزَريّة، (غلاءٌ عظيم، حتى أكل الناس الميتة، وتبعه)[2] وباءٌ شديد مات فيه كثيرٌ من الناس[3]، حتّى خلت

(١) المنتظم ٨/ ١٣٢ (١٥/ ٣٠٨)، تاريخ الزمان لابن العبري ٩٦، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٤، البداية والنهاية ١٢/ ٥٦.

(٢) من الباريسية.

(٣) المنتظم ٨/ ١٣٢ (١٥/ ٣٠٨)، تاريخ الزمان ٩٦، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٦٨، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٤، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥٠، البداية والنهاية ١٢/ ٥٦.

الأسواق، وزادت أثمان ما يحتاج إليه المرضى، حتّى بيع المنّ من الشراب بنصف دينار، ومنّ اللوز بخمسة عشر قيراطاً، والرمّانة بقيراطَيْن، والخيارة بقيراط، وأشباه ذلك[1].

وفيها جمع الأمير أبو كاليجار فنّاخسرو بن مجد الدولة بن بُوَيْه جَمْعاً، وسار إلى آمِد، فدخلها، وساعده أهلها، وأوقع بمن كان فيها من أصحاب طُغْرُلْبَك، فقتل وأسر؛ وعرف طُغْرُلْبَك ذلك، فسار عن الرَّيّ قاصداً إليه، ومتوجّهاً إلى قتاله.

وفيها توفّي عميد الدولة[2] أبو سَعْد محمّد بن الحسين بن عبد الرحيم بجزيرة ابن عمر في ذي القعدة، وله شِعرٌ حَسَن، وَوَزَرَ لجلال الدولة عدّة دفعات.

وفيها سيّر المعزُّ بن باديس صاحب إفريقية أسطولاً إلى جزائر القُسطنطينيّة، فظفر وغنم وعاد.

وفيها اقتتلت طوائف من تلكاتَة[3]، قاتل بعضهم بعضاً، وكان بينهم حرب صبروا فيها، فقُتل منهم خلق كثير.

وفيها قبض الملك أبو كاليجار على وزيره محمّد بن جعفر بن أبي الفَرَج الملقّب بذي السعادات بن فسانجس، وسجنه، وهرب ولده أبو الغنائم، وبقي الوزير مسجوناً إلى أن مات في شهر رمضان سنة أربعين [وأربعمائة]، وقيل أرسل إليه أبو كاليجار من قتله، وعمره إحدى وخمسون[4] سنة[5]، وللوزير ذي السعادات مكاتبات حَسَنة، وشِعر جيّد منه:

---

(١) انظر المصادر السابقة.

(٢) انظر عن (عميد الدولة) في: المنتظم ٨/ ١٣٤ رقم ١٨٥ (١٥/ ٣١١ رقم ٣٢٧٩)، وتاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٧٦، ٤٧٧ رقم ٢٦٧، والبداية والنهاية ١٢/ ٥٦، والوافي بالوفيات ٣/ ٨، ٩ رقم ٨٦٤.

(٣) في الباريسية «بلدانة»، وفي (أ): «تلكانة».

(٤) في الأوربية: «وخمسين».

(٥) انظر عن الوزير (ابن فسانجس) في: دمية القصر للباخرزي (طبعة بغداد) ١/ ٢٨٧ رقم ١٠٣، وأخبار الحمقى والمغفّلين لابن الجوزي ٩٩، والمنتظم ٨/ ١٣٨، ١٣٩ رقم ١٩٣ (١٥/ ٣١٦ رقم ٣٢٨٧)، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٢٠ رقم ٤١٦، وتاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٨٩، ٤٩٠ رقم ٣٠٠، والبداية والنهاية ١٢/ ٥٨، والوافي بالوفيات ٢/ ٣٠٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٤٥.

أودّعُكم، وإنّي ذو اكتئابِ، وأرحل عنكُمُ، والقلبُ آبي
وإنّ فراقَكُمْ في كلّ حالٍ لأوجعُ من مُفارقةِ الشبّابِ
أسيرُ، وما ذممتُ لكم جِواراً، ولا ملّتْ منازلَكم رِكابي
وأشكرُ كلّما أوطَنْتُ داراً ليالينَا القِصارَ بلا اجتنَابِ
وأذكرُكم، إذا هبّتْ جَنُوبٌ، فتُذكّرُني غَراراتِ التّصابي
لكم مِنّي المودّةُ في اغترابِ[1]، وأنتم إلْفُ نفسي في اقترابي

وهو أطول من هذا.

ولمّا قُبض ذو السعادات استوزر أبو كاليجار كمالَ الملك أبا المعالي بن عبد الرحيم.

[الوَفَيَات]

فيها توفّي أبو القاسم عبدالواحد بن محمّد بن يحيى بن أيّوب المعروف بالمطرّز[2] الشاعر، وله شعر جيّد، فمن قوله في الزُّهد:

يا عبدُ كَمْ لك مِن ذنبٍ ومَعصِيةٍ، إن كنتَ ناسيها، فالله أحصَاها
لا بدَّ يا عبدُ من يومٍ تقومُ بهِ[3]، ووقفةٍ لك يُدْمي القلبَ ذِكرَاها
إذا عرضتُ على قلبي تذكّرَها، وساء[4] ظنّي فقلتُ استغْفِرُ الله[5]

وفيها مات أبو الخَطّاب الجُبليُّ[6] الشاعر، ومضى إلى الشام، ولقي المعرّيَّ، وعاد ضريراً، وله شِعرٌ منه قوله:

---

(١) في الأصل: «بي».

(٢) انظر عن (المطرّز) في: تاريخ بغداد ١١/١٦، المنتظم ٨/١٣٤ رقم ١٨٤ (١٥/٣١٠، ٣١١ رقم ٣٢٧٨) والمختصر في أخبار البشر ٢/١٦٨، وتاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٧٤ رقم ٢٦٠، وتاريخ ابن الوردي ١/٣٥٠، وهدية العارفين ١/٦٣٣، والأعلام ٤/٣٢٧، ومعجم المؤلفين ٦/٢١٤.

(٣) في المنتظم: «له».

(٤) في المنتظم: «قدساء».

(٥) في طبعة صادر ٩/٥٤٣ «اللاها»، والمثبت عن المنتظم ٨/١٣٤ (١٥/٣١١).

(٦) في الباريسية: «الحبلي»، وفي طبعة صادر ٩/٥٤٣ «الجيلي»، والتصحيح من مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٧٨ رقم ٢٧٠.
و«الجَبُلي»: بفتح الجيم وضم الباء المشدّدة المنقوطة بنقطة واحدة. نسبة إلى جَبُل، وهي بلدة على الدجلة بين بغداد وواسط. (الأنساب ٣/١٨٢).

مـــا حَكَـــمَ الحـــبُّ فَهْـــوَ مُمتثَـــلُ، ومـــا جَنـــاه الحبيـــبُ مُحتَمَـــلُ
تَهوى، وتَشكو الضنَى[1]، وكلُّ هوًى لا يُنحِـــلُ الجِســـمَ، فهـــو منتحَـــلُ[2]

وفيها تُوُفّي أبو محمّد الحسن بن محمدالحسن الخلّال[3]، الحافظ، ومولده سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، سمع أبا بكر القطيعيَّ وغيره، ومن أصحابه الخطيب أبو بكر الحافظ.

وفيها قُتل الفقيه أحمد الوَلوالجيُّ[4]، وهو من أعيان الفقهاء الحنفيّة، إلاّ أنّه كان يُكثر الوقيعة في الأئمّة والعلماء، وسلك طريق الرياضة، وفسد دماغه، فقُتل بين مَرْو وسَرْخَس (في ذي الحجّة)[5].

---

(1) في المنتظم: «يهوى ويشكو الصبا».
(2) المنتظم ٨/ ١٣٥ (١٥/ ٣١٢).
(3) أنظر عن الخلّال) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٧١، ٤٧٢ رقم ٢٥٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(4) لم أجد مصدر ترجمته.
(5) من (أ).

٤٤٠
ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة

ذكر رحيل عسكر يَنّال عن تيرانشاه
وعود مهلهل إلى شهرزور

قد ذكرنا في السنة المتقدّمة استيلاء أحمد بن طاهر، وزير يَنّال، على شهرزور، ومحاصرته قلعة تِيرانشاه، ولم يزل يحاصرها إلى الآن، فوقع في عسكره الوباء وكثر الموت، فأرسل إلى صاحبه يَنّال يستمدّه، ويطلب إنجاده، ويعرّفه كثرة الوباء عنده، فأمره بالرحيل عنها، فسار إلى مَايَدَشْتَ. فلمّا سمع مُهلهِل ذلك سيّر أحد أولاده إلى شهرزور، فملكها وانزعج الغُزُّ الذين بالسِّيرَوان وخافوا.

ثم سار جمْعٌ من عسكر بغداذ إلى حُلوان، وحصروا قلعتها، فلم يظفروا بها، فنهبوا تلك الأعمال، وأتوا على ما تخلّف من الغُزّ، فخربت الأعمال بالكليّة، وسار مُهلهِل ومعه أهله وأمواله إلى بغداذ، فأنزلهم بباب المَراتب، بدار الخلافة، خوفاً من الغُزّ، وعاد إلى حلله، وبينه وبين بغداذ ستّة فراسخ، وسار جمْعٌ من عسكر بغداذ، إلى البندنيجين، وبها جمع من الغز مع عكبر بن أحمد بن عياض، فتواقعوا، واقتتلوا، فانهزم عسكر بغداذ، وقُتل منهم جماعة، وأُسر جماعة قُتلوا أيضاً صبراً.

ذكر غزو إبراهيم يَنّال الروم

في هذه السنة غزا إبراهيم يَنّال الروم، فظفر بهم وغنم.

وكان سبب ذلك أنّ خلقاً كثيراً من الغُزّ بما وراء النهر قدموا عليه، فقال لهم: بلادي تضيق عن مقامكم والقيام بما تحتاجون إليه، والرأي أن تمضوا إلى غزو الروم،

وتجاهدوا في سبيل الله، وتغنموا، وأنا سائرٌ على أثركم، ومساعدٌ لكم على أمركم. ففعلوا.

وساروا بين يديه، وتبِعهم، فوصلوا إلى ملازكرد، وأرْزَن الرُّوم، وقَالِيقَلا، وبلغوا طَرابزُون وتلك النواحي كلّها، ولقيهم عسكر عظيم للروم والأبخاز يبلغون خمسين ألفاً، فاقتتلوا، واشتدّ القتال بينهم، وكانت بينهم عدّة وقائع تارةً يظفر هؤلاء، وتارة هؤلاء، وكان آخر الأمر الظفر للمسلمين، فأكثروا القتل في الروم وهزموهم، وأسروا جماعةً كثيرةً من بطارقتهم، وممّن أُسر قاريط[1] ملك الأبخاز، فبذل في نفسه ثلاثمائة ألف دينار، وهدايا بمائة ألف، فلم يُجِبْه إلى ذلك، ولم يزل يجوس تلك البلاد وينهبها إلى أن بقي بينه وبين القُسطنطَينيّة خمسة عشر يوماً، واستولى المسلمون على تلك النواحي فنهبوها، وغنموا ما فيها، وسبوا أكثر من مائة ألف رأس، وأخذوا من الدّوابّ والبغال والغنائم والأموال ما لا يقع عليه الإحصاء، وقيل إنّ الغنائم حُملت على عشرة آلاف عجلة، وإنّ في جملة الغنيمة تسعة عشر ألف دِرع.

وكان قد دخل بلد الروم جمع من الغُزّ يقدمهم إنسان نسيب طُغْرُلبك، فلم يؤثّر كبير[2] أثر، وقُتل من أصحابه جماعة، وعاد، ودخل بعده إبراهيم يَنّال، ففعل هذا الذي ذكرناه[3].

ذكر موت الملك أبي كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم

في هذه السنة تُوُفّي الملك أبو كاليجار المَرْزُبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة ابن عَضُد الدّولة بن بُوَيْه، رابع جُمادَى الأولى، بمدينة جَنَاب من كَرمان.

وكان سبب مسيره إليها أنّه كان قد عوّل في ولاية كَرمان حرباً وخراباً على بهرام بن لشكرستان الدَّيْلميّ، وقرّر عليه مالاً، فتراخى بهرام في تحرير الأمر[4]،

---

(١) في (أ): «فاربط».

(٢) في (أ): «كثير».

(٣) المنتظم ٨/١٣٧ (١٥/٣١٤)، نهاية الأرب ٢٦/٢٨٣، ٢٨٤، العبر ٣/١٩٢، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٧، ٣٣٨، دول الإسلام ١/٢٥٩، البداية والنهاية ١٢/٥٨.

(٤) في الباريسية: «الأمور».

وأحاله[1] إلى المغالطة[2] والمدافعة، فشرع حينئذٍ أبو كاليجار في إعمال الحيلة عليه، وأخذ قلعة بَرْدَسِير[3] من يده، وهي معقله الذي يحتمي به ويعوّل عليه، فراسل بعضَ من بها من الأجناد وأفسدهم، فعلم بهم بَهرام فقتلهم، وزاد نفوره واستشعاره، وأظهر ذلك، فسار إليه الملك أبو كاليجار في ربيع الآخر، فبلغ قصر مُجاشع، فوجد في حَلقه خشونة، فلم يبال بها، وشرب وتصيّد وأكل من كبد غزالٍ مشوي، واشتدّت علّته، ولحِقه حُمّى، وضعف عن الركوب، ولم يمكنه المقام لعدم الميرة بذلك المنزل، فحُمل في محفّة على أعناق الرجال إلى مدينة جَناب، فتوفّي بها، وكان عمره أربعين سنة وشهوراً، وكان ملكه بالعراق بعد وفاة جلال الدولة أربع سنين وشهرَيْن ونيّفاً وعشرين يوماً[4].

ولمّا تُوُفّي نهب الأتراك من العسكر الخزائن والسلاح والدّوابّ، وانتقل ولده أبو منصور فلاستون إلى مخيّم الوزير أبي منصور، وكان منفرداً[5] عن العسكر، فأقام عنده، وأراد الأتراك نهب الوزير والأمير، فمنعهم الدَّيلم، وعادوا إلى شِيراز، فملكها الأمير أبو منصور، واستشعر الوزير، فصعِد إلى قلعة خُرمةَ[6] فامتنع بها.

فلمّا وصل خبر وفاته إلى بغداذ، وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خُرة[7] فيروز، أحضر الجُند واستحلفهم، وراسل الخليفةَ القائم بأمر الله في معنى الخطبة له، وتلقيبه بالملك الرحيم، وتردّدت الرسل بينهم في ذلك إلى أنْ أُجيب إلى ملتمسه سوى الملك الرحيم، فإنّ الخليفة امتنع من إجابته وقال: لا يجوز أن يلقّب بأخصّ صفات الله تعالى[8].

---

(١) في الأوربية: «وأخلّه».

(٢) في (أ): «المطاولة».

(٣) في (أ): «بردشير».

(٤) تاريخ حلب (زعرور) ٣٣٩ (سويم) ٦ وفيه وفاته ٤٣٩ هـ.، تاريخ الفارقي ١/ ١٥٤، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٦٩، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٦، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥١.

(٥) في الأوربية: «وكانت منفردة».

(٦) في (أ): «حرقه»، وتحرفت في نسخة بودليان إلى: «حرمه».

(٧) في (أ): «خسره».

(٨) تاريخ حلب (زعرور) ٣٣٩ (سويم) ٦، تاريخ الفارقي ١/ ١٥٤، المنتظم ٨/ ١٣٦ (١٥/ ٣١٣)، دولِ الإسلام ١/ ٢٥٨، ٢٥٩، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٦، البداية والنهاية ١٢/ ٥٧.

واستقرّ ملكه بالعراق، وخُوزستان، والبصرة، وكان بالبصرة أخوه أبو عليّ بن أبي كاليجار. وخلّف أبو كاليجار من الأولاد: الملك الرحيم، والأمير أبا منصور فلاستون، وأبا طالب كامرو، وأبا المظفّر بهرام، وأبا عليّ كيخسرو، وأبا سعد خسروشاه، وثلاثة بنين أصاغر، فاستولى ابنه أبو منصور على شِيراز، فسيّر إليه الملك الرحيم أخاه أبا سعد في عسكر، فملكوا شيراز، وخطبوا للملك الرحيم، وقبضوا على الأمير أبي منصور ووالدته، وكان ذلك في شوّال.

ذكر محاصرة العساكر المصرية مدينة حلب

في جُمادَى الآخرة وصلت عساكر مصر إلى حلب في جمْعٍ كثير فحصروها، وبها معزُّ الدولة أبو علوان ثِمَال بن صالح الكِلابيُّ، فجمع جمعاً كثيراً بلغوا خمسة آلاف فارس وراجل، فلمّا نزلوا على حلب خرج إليهم ثِمَال، وقاتلهم قتالاً شديداً صبر فيه لهم إلى الليل، ثمّ دخل البلد، فلمّا كان الغد اقتتلوا إلى آخر النهار، وصبر أيضاً ثِمَال، وكذلك أيضاً اليوم الثالث. فلمّا رأى المصريّون صبر ثِمَال، وكانوا ظنّوا أنّ أحداً لا يقوم بين أيديهم، رحلوا عن البلد، فاتّفق أنّ تلك الليلة جاء مطرٌ عظيم لم ير الناس مثله، فجاءت المدود إلى منزلهم، فبلغ الماء ما يقارب قامتَيْن، ولو لم يرحلوا لغرقوا، ثم رحلوا إلى الشام الأعلى[١].

ذكر الخُلْف بين قِرواش والأكراد الحُميديّة والهذبانيّة

في هذه السنة اختلف قِرواش والأكراد الحُميديّة والهذبانيّة، وكان للحُمَيديّة عدّة حصون تجاور الموصل، منها العَقْر وما قاربها، وللهذبانيّة قلعة إربِلَ وأعمالها، وكان صاحب العَقْر حينئذٍ أبا الحسن بن عَيْسَكان[٢] الحُميديَّ، وصاحب إربِل أبو الحسن بن موسك[٣] الهذبانيُّ، وله أخٌ اسمه أبو عليّ بن موسك فأعانه الحُمَيديُّ على أخذ إربِل

(١) تاريخ حلب (زعرور) ٣٣٨، ٣٣٩ (سويم) ٦، ٧، تاريخ مصر لابن ميسّر ٢/ ٣، زبدة الحلب ١/ ٢٦٤، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٧، إتعاظ الحنفا ٢/ ٢٠١.

(٢) تصحّفت في (أ) والباريسية إلى «عسكان».

(٣) في (أ): «موشك».

من أخيه أبي الحسن، فملكها منه، وأخذ صاحبها أبا الحسن أسيراً.

وكان قرواش وأخوه زعيم الدولة أبو كامل بالعراق مشغولين، فلمّا عادا إلى الموصل وقد سخطا هذه الحالة لم يظهراها، وأرسل قِرواش يطلب من الحُمَيديّ والهذبانيّ نجدةً له على نصر الدولة بن مروان. فأمّا أبو الحسن الحُمَيديُّ فسار إليه بنفسه، وأمّا أبو عليّ الهذبانيُّ فأرسل أخاه، واصطلح قرواش ونصر الدولة، وقبض على أبي الحسن الحُمَيديّ، ثم صانعه على إطلاق أبي الحسن الهذبانيّ، الذي كان صاحب إربِل، وأخْذ إربِل من أخيه أبي عليّ وتسليمها إليه، فإن امتنع أبو عليّ كان عَوْناً عليه، فأجاب إلى ذلك، ورهن عليه أهله وأولاده وثلاث قلاع من حصونه إلى أن يتسلّم إربِل، وأُطلق (من الحبس)[1].

وكان أخٌ له قد استولى على قلاعه، فخرج إليها وأخذها منه، وعاد إلى قِرواش وأخيه زعيم الدولة، فوثقا به، وأطلقا أهله، ثم إنّه راسل أبا عليّ، صاحب إربل، في تسليمها، فأجاب إلى ذلك، وحضر بالموصل ليسلّم إربل إلى أخيه أبي الحسن، فقال الحُميديُّ لِقرواش: إنّني قد وفيتُ بعهدي، فتسلّمان إليّ حصوني؛ فسلّما إليه قلاعه، وسار هو وأبو[2] الحسن وأبو عليّ الهذبانيُّ[3] إلى إربِل ليسلّماها إلى أبي الحسن، فغدرا به في الطريق، وكان قد أحسّ بالشرّ، فتخلّف عنهما، وسيّر معهما أصحابه ليتسلّموا إربِل، فقبضا على أصحابه وطلبوه ليقبضوه، فهرب إلى الموصل، وتأكّدت الوحشة حينئذٍ بين الأكراد وقرواش وأخيه، وتقاطعوا، وأضمر كلّ منهم الشرّ لصاحبه.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سار الملك الرحيم من بغداذ إلى خوزستان، فلقِيه مَن بها من الجُنْد وأطاعوه، وفيهم كرشاسف بن علاء الدولة الذي كان صاحب هَمَذان وكِنْكِوَر، فإنّه كان انتقل إلى الملك أبي كاليجار، بعد أن استولى ينّال على أعماله، ولمّا مات أبو كاليجار سار الملك العزيز ابن الملك جلال الدولة إلى البصرة طمعاً في ملكها،

---

(١) من (أ).

(٢) في الباريسية: «هو أبو».

(٣) في (أ): «الحميديان».

فلقِيه مَن بها من الجند وقاتلوه وهزموه، فعاد عنها، وكان قبل ذلك عند قرواش ثم عند ينّال، ولمّا سمع[1] باستقامة الأمور للملك الرحيم انقطع أمله، ولمّا سار الملك الرحيم عن بغداذ كثُرت الِفتَن بها، ودامت بين أهل باب الأَزَج[2] والأساكفة، (وهم السُّنّة)[3]، فأحرقوا عقاراً كثيراً.

وفيها سار سعْدي بن أبي الشوك من حلّة دُبيس بن مَزْيد إلى إبراهيم يَنّال، بعد أن راسله، وتوثّق منه، وتقرّر بينهما أنّه كلّ ما[4] يملكه سعْدي ممّا ليس بيد ينّال ونوّابه فهو له، فسار سعْدي إلى الدَّسكرة، وجرى بينه وبين من بها من عسكر بغداذ (حرب انهزموا [فيها] منه، وملكها وما يليها، فسُيّر إليها عسكرٌ ثانٍ من بغداذ[5]، فقتل مقدّمهم وهزمهم[6]، وسار من الدَّسكرة وتوسّط تلك الأعمال بالقرب من بَعقُوبا، ونهب أصحابه البلاد، وخطبوا لإبراهيم يَنّال.

وفيها كان ابتداء الوحشة بين معتمد الدولة قِرواش بن المقلّد وبين أخيه زعيم الدولة أبي كامل بن المقلّد، فانضاف قريش بن بدران بن المقلّد إلى عمّه قِرواش، وجمع جَمْعاً، وقاتلَ عمّه أبا كامل، فظفر ونُصر وانهزم أبو كامل، ولم يزل قريش يُغري قرواشاً بأخيه حتّى تأكّدت الوحشة، وتفاقم الشرّ بينهما.

وفيها خُطب للأمير أبي العبّاس محمّد بن القائم بأمر الله بولاية العهد، ولُقّب ذخيرة الدّين، ووليَ عهد المسلمين.

وفيها، في رمضان، قُتل الأمير أقْسُنقُر بهَمَذان، قتله الباطنيّة لأنّه كان كثير الغزو إليهم، والقتل فيهم، والنهب لأموالهم، والتخريب لبلادهم، فلمّا كان الآن قصد إنساناً من الزُّهّاد ليزوره، فوثب عليه جماعة من الإسماعيليّة فقتلوه.

---

(١) في الأوربية: «استمع».
(٢) في (أ): «الطاق».
(٣) من (أ).
(٤) في الأوربية: «كلّما».
(٥) ما بين القوسين من الباريسية.
(٦) في الباريسية: «وهزموه».

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي أبو محمّد الحسن[1] بن عيسى بن المقتدر بالله، وكان من الصّالحين وُرواة الحديث، وأوصى أن يُدفن بجوار أحمد بن حَنبَل، ومولده سنة ثلاثٍ وأربعين وثلاثمائة.

وأبو طالب محمّد بن محمّد بن غَيْلان[2] البزّاز، ومولده سنة سبْعٍ وأربعين وثلاثمائة، روى عن أبي بكر الشافعيّ وغيره، وتُوُفّي في شوّال، وهو راوي الأحاديث المعروف بالغَيْلانيّات التي خرّجها[3] الدّارقُطْنيُّ له، وهي من أعلى الحديث وأحسنه. وعُبَيدالله بن عمر بن أحمد بن عثمان أبو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين[4]، ومولده سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة.

وفيها كان الغلاء والوباء عامّاً في البلاد جميعها، بمكّة، والعراق، والموصل، والجزيرة، والشام، ومصر وغيرها من البلاد.

وفيها قُبض بمصر على الوزير فخر المُلْك صَدَقة بن يوسف وقُتل، وكان أوّل أمره يهوديّاً فأسلم، واتّصل بالدِّزْبريّ، وخدمه بالشام، ثم خافه فعاد إلى مصر، وخدم الجَرْجَرائيَّ الوزير، وأنفق عليه، فلمّا تُوفّي الجَرْجَرائيُّ استوزره المستنصر إلى الآن، ثم قتله واستوزر القاضي أبا محمّد الحسن بن عبدالرحمن اليازوريَّ في ذي القعدة[5].

---

(١) في طبعة صادر ٩/٥٥٢: «توفي أبو الحسن محمد بن الحسن»، والتصحيح من مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٨٣ رقم ٢٨٣.

(٢) انظر عن (ابن غيلان) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٩٢ ـ ٤٩٤ رقم ٣٠٦ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) في (أ): «أخرجها».

(٤) انظر عن (ابن شاهين) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٨٥ رقم ٢٨٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) أخبار مصر لابن ميسر ٢/٢، الإشارة إلى من نال الوزارة ٣٧ ـ ٤٠، وأخبار الدول المنقطعة ٧٨، الدرّة المضيّة ٣٥٧، الوافي بالوفيات ١٦/٣٠٣ رقم ٣٣١، واتعاظ الحنفا (في مواضع كثيرة من الجزء ٢)، وحسن المحاضرة ٢/١٢٩.